Journal of Scientific Research in Arts
ISSN 2356-8321 (Print)
ISSN 2356-833X (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/?lang=en

The Linguistics of Lying: A Pragmatic Study of the Short Story Mazloum by Yusuf Idris

Manar A. Said
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, New Valley University, Egypt
Corresponding author: drmnarali@mail.com

Received: 10-2-2025 Revised:24-4-2025
Accepted:5-7-2025 Published: 20-7-2025

DOI: 10.21608/jssa.2025.359581.1702
Volume 26 Issue 5 (2025) Pp. 26-50

Abstract

This research paper addresses lying as a linguistic phenomenon from a pragmatic perspective, through the analysis of the story "Mazloom" by the writer Yusuf Idris. In this story, lying is considered a linguistic tool used in complex social contexts, carrying multiple psychological and cultural dimensions. The paper focuses on analyzing the dialogues between the characters to examine how lying is employed as a means of communication and interaction. The primary objective of the research is to understand the mechanism of using lying as a linguistic tool in the literary text and how this usage reflects the interaction between characters within their social and psychological contexts. Therefore, the research examines the application of Grice's cooperative principle and how it is violated through the use of lying in the dialogue between the protagonists. Additionally, the study reviews the various linguistic mechanisms used to produce lies, taking into account the social and cultural context surrounding the characters. The pragmatic approach adopted in this paper links the linguistic act to the social and psychological reality of the characters, thus providing a deeper understanding of the phenomenon of lying.

Keywords: *Pragmatics – The Linguistics of Lying – The Cooperative Principle – Yusuf Idris*

لسانيَّات الكَذِب: دِراسَة تدَاوليَّة فِي قِصَّة (مَظْلوم) ليوسُف إدرِيس

منار علي محمد سعيد
قسم اللغة العربية، كليّة الآداب، جامعة الوادي الجديد، مصر

drmnarali@gmail.com

المستخلص:

تتناول هذه الورقة البحثية الكذبَ بوصفِه ظاهرة لُغويَّة من منظور تداوليّ، من خلال تحليل قصة (مظلوم) للكاتب يوسف إدريس، يُعدُّ الكذب في هذه القصة آليَّة لُغويَّة تُستخدَم في سياقاتٍ اجتماعيَّةٍ معقدة، حيث يَحملُ أبعادًا نفسيَّة وثقافيَّة متعددة، وتركِّز الورقة على تحليل الحوار بين الشَّخصيات لرصد كيفية توظيف الكذب وسيلة للتَّواصل والتَّفاعل، أمَّا الهدف الرئيس من البحث فهو فَهم آلية استخدام الكذب أداة لُغويَّة في النص الأدبي، وكيف يعكس هذا الاستخدام التَّفاعلَ بين الشخصيات في سياقاتِها الاجتماعيَّة والنفسيَّة، وعليه يعكُفُ البحثُ على دراسة تطبيق مبدأ التَّعاون لجرايس، وكيفية خرق هذا المبدأ باستخدام الكذب في الحوار بين أبطال القصة، كما يستعرض الآليات اللُّغوية المختلفة التي تُستخدم لإنتاج الكذب، مع الأخذ في الاعتبار السياق الاجتماعيّ والثقافيّ المحيط بالشخصيات، ويعتمد المنهج التداولي الذي يربط بين الفعل اللغوي والواقع الاجتماعي والنفسي للشخصيات، مما يتيح فهمًا أعمق لظاهرة الكذب.

الكلمات المفتاحية :التَّداوليَّة – لسانيَّات الكذب- مبدأ التَّعاون – يوسف إدريس

يُعَدُّ الكذب ظاهرةً إنسانيةً معقدة، "لا يستطيع الإنسان أن ينفي هذا الزعم، ولا يمكنه أن يتجاهل هذه الظاهرة، فهي متأصلة في ذواتِنا متشعبةً في ممارساتِنا"[i] وثيقة الصِّلة بالفعل اللُّغويّ، حيث تشكّل اللغة الأداة الأبرز التي يُعبَّر من خلالها عن الحقائق، وأحيانًا عن الزّيف وما هو خلاف الواقع، وقد أثارت هذه العلاقة الوثيقة اهتمام الباحثين في مجالات عِدّة؛ كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والعلوم الشرعية والإسلاميَّة، واللسانيَّات، وهو ما حدا بهم إلى محاولة كشف العَلاقة بين (اللُّغة) و(الكذِب)، ورصد آليَّات تمييز الكذِب عبر أنماط استخدام اللُّغة.

وتعدُّ اللِّسانيات التَّداولية أحد أبرز المناهج التي تُتيح فهمًا عميقًا واضحًا لهذه الظاهرة؛ حيث تُركِّز على تحليل اللُّغة في سياقِها التّواصليّ والاجتماعيّ، ممَّا يسمح بدراسة الكذِب كفعلٍ لُغويّ يرتبطُ بالقصديَّة والسياق.

لذا يهدفُ البحث إلى محاولة فَهم آلية استخدام الكذب كأداة لُغويَّة من خلال تحليل تفاعلات الشخصيات في سياقات اجتماعية متعدِّدة داخل النص الأدبي – موضع الدِّراسة- ويعتمد هذا التَّحليل على دراسة كيفية توظيف اللُّغة من قِبَل الأفراد في محيطهم الاجتماعي، وكيفية انعكاس هذه الاستخدامات على التَّغيُّرات الاجتماعيَّة داخل القِصَّة، مع التركيز على الدور الذي يلعبه الكذب كوسيلة للتأثِير أو التحايل من خلال النصوص الأدبية؛ فالبحث إذن محاولة جادَّة لاستكشاف مصطلح (لسانيَّات الكذِب)، وتحليل الآليَّات التي يمكن من خلالها استغلال اللُّغة لإخفاء الحقائق وتزييفها أو التَّلاعب بها، وكيف يمكن اكتشاف الكذِب من

خلال التَّحليل التداوليّ للُّغة، وذلك من خلال قصة (مَظْلُوم) ليوسف إدريس التي تقع ضمن مجموعتِه القَصصِيَّة (أرْخَص ليالي)[ii]، فهي تُمثِّل نصًا غنيًا بالحوارات التي تتشابك فيها الحقيقة بالوهم، والصِّدق بالكذِب، فهي تمثِّل بيئة خصبة لدراسة استخدام الشخصيات للُّغة كأداة للكذِب لأغراض شتّى كالإيهام، والتَّزييف، أو للنّجاة، أو للتَّعبير عن اضطراباتِهم النَّفسيَّة والاجتماعيَّة.

وتُعدّ ظاهرة الكذب من الظواهر اللُّغوية المعقدة التي تثير العديد من التَّساؤلات في مختلَف حقول المعرفة، سواء من حيث طبيعتها، أو آلياتها، أو تأثيراتها في السياقات الاجتماعيَّة، والنَّفسيَّة، واللُّغويَّة، ورُغم أهميَّة الكذب في الدراسات النفسيَّة والاجتماعيَّة، فإنَّه لم يحظَ في الدراسات اللُّغويَّة – بخاصة التَّداولية - بالاهتمام الكافي، خاصَّة في سياقات أدبيَّة محدَّدة، وفي هذا السِّياق، يأتي هذا البحث ليتناول الكذِب كظاهرة لِسانيَّة من منظور تداوليّ، من خلال قصّة (مظلوم) للكاتب يوسف إدريس.

وتتمثَّل أهميَّة هذا الموضوع فِي:

١- تقديم إطار معرفيّ لفَهم آليَّة استخدام الكذِب أداة لُغويَّة من خلال تفاعلات الشَّخصيَّات في سياقات اجتماعِيَّة متنوّعة في القِصَّة –مدوَّنة الدّراسة-.
٢- دراسة جوانب التّواصل الخفيّ والتَّلاعب بالمعانِي .
٣- فَهْم العَلاقة بين اللُّغة والسُّلطة والواقع الاجتماعيّ والنَّفسيّ للشَّخصيَّات من خلال أدوات التَّحليل التَّداولي.

ويمكن تحديد أهداف الورقة البحثيَّة في النّقاط التّالية:

١- تحليل (الكذب) لُغويًا، ورصد استخدامه آليَّة تواصليَّة في قِصَّة (مظلوم) ليوسف إدريس.
٢- رصد التَّفاعل بين اللُّغة والسياق الاجتماعيّ، وكيف يعكس الكذب صراعات الشخصيات نفسيًا وثقافيًا واجتماعيًا.
٣- التَّحليل التَّداوليّ للكذب من خلال مبدأ التعاون لـ(جرايس)، وتحليل آليات خرق هذا المبدأ باستخدام الكذب داخل الحوار القَصَصيّ.
٤- رصد الدَّلالات المختلفة للأفعال الكلاميَّة في القصّة بفحص كيفية استخدام الكذب كأداة لغويَّة.

سبب اختيار الموضوع:

آثرتُ اختيار هذا الموضوع: (لسانيَّات الكذِب: دراسة تداوليَّة في قصة مظلوم ليوسُف إدريس)؛ لما يحمله من قيمة علميَّة في استكشاف الكذب بوصفِه استراتيجية لُغويَّة تُستخدم في سياقات تواصليَّة معقَّدة، وقد وقع الاختيار على نص أدبيّ يتسم بطابع حواري واضح، إذ إن الحوار هو المظهر الأصدق لتجليَّات اللُّغة في سياقها الفعليّ، حيث يكشف عن مقاصد المتكلمين وغاياتهم الضمنيَّة.

وتمثِّل قصة (مظلوم) نموذجًا أدبيًا ثريًا لتحليل آليات الكذب من منظور تداولي، إذ لا يُطرح فيها الكذب بوصفه مجرد انحراف أخلاقي، بل بوصفِه آليَّة خطابيَّة تحمل أبعادًا نفسيَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة، ويأتي اختيار يوسف إدريس – بصفة خاصَّة- لما تتميَّز به أعماله من عمق في تصوير البنية الاجتماعيَّة والتوترات التي تحكم العلاقات اللغوية بين الأفراد، مما يجعل نصوصه ميدانًا خصبًا لاستقصاء الظواهر اللُّغوية في سياقها التداولي، وفهم آليات التفاوض والتَّلاعب اللُّغوي التي تشكّل جوهر التَّواصل في البيئات الاجتماعيَّة المتشابكة.

إشكالية الدِّراسة:

تتركَّز في دراسة كيفية تجسيد الكذِب في النصّ الأدبيّ، وتحليلِ كيفيَّة تشكيلِه وتوظيفِه في سياق التَّداوليَّة، فنقف في هذه الورقة البحثيَّة أمام التَّساؤلات التَّالية:

- كيف يتشكَّل الكذِب في الحوار القَصَصيّ بين الشَّخصيَّات؟
- ما هي الآليَّات اللُّغويَّة التي تستخدمها الشَّخصيات لإنتاج الكذِب وتحقيق أهدافِها التَّواصليَّة؟
- كيف يُفسَّر الكذب في إطار تداوليّ يؤثر فيه السِّياق الاجتماعيّ والثقافيّ والسياسيّ للأحداث؟

هذه التساؤلات تمثل الأساس الذي ننطلقُ منه في هذا البحث، ومُرْتَكَزًا نُعوّلُ عليه لفَهم الكذب كظاهرة لُغويَّة تتجاوز مجرد التزييف؛ بل تكشف عن أبعادِها التَّداوليَّة المرتبطةِ بالسِّياق وغايات التَّواصل بين الشَّخصيَّات - أطراف التَّواصل-.

إذن، تتطلَّب إشكالية الدِّراسة من الباحثة فحص العَلاقة بين الكذِب وسياقات استخدامه، وتحديد آليات التَّلاعب اللُّغويّ التي تُمكِّن الشَّخصيَّات من تحقيقِ هدفِ الكذب، وعليهِ يُمكِّننا تحليلُ الكذبِ في إطارٍ تداوليّ بفَهمِ آلياتِ الاتِّصال والتَّفاعل في النصِّ الأدبيّ بشكلٍ أكثرَ دقَّة .

منهج الدِّراسة:

انتهجت هذه الدّراسة المنهج التداوليّ الذي يتيح فَهم الكذب بوصفه آليَّة تواصليَّة تقوم بوظائف عِدَّة في النصّ، من خلال ربط الفعل اللُّغوي بالواقع الاجتماعيّ والنفسيّ لشخصيات القِصَّة، كما تعتمد على مُقاربةٍ وصفيَّة تحليليَّة لإيضاح العَلاقات بين التَّفاعل اللُّغويّ وسياقاتِه الاجتماعيَّة والنفسيَّة.

لذا ترتكز هذه الدراسة على ثلاثة محاور رئيسَة:

أولًا: الإطار المفاهيميّ للكَذِب في الدِّراسَات اللُّغويَّة والتَّداوليَّة.

ثانيًا: كيفية تمثِيل الكذِب في قِصَّة (مظلوم) من خلال التَّحليل التَّداوليّ.

ثالثًا: أنماط الكذِب في القِصَّة وعَلاقتها بالسِّياق الاجتماعيّ والنَّفسيّ.

يمثّل هذا البحث محاولة جادة لفهم أعمق للكيفيَّة التي تتداخل بها اللُّغة والكذِب ضمن النّصوص الأدبيَّة، ممَّا يفتح المجال لدراساتٍ أوسع تُركِّزُ على الأبعاد التَّداوليَّة للخِطاب في الأدبِ العَرَبيّ.

الإطار المفاهيمي:

مفهوم الكذِب في الدِّراسَات اللُّغوية:

الكَذِب لغةً واصطلاحًا:

أولًا: الكَذِب في اللُّغة:

يعدُّ الكذب في اللُّغة من المصادِرِ الدَّالةِ على التَّضلِيل؛ ويتجلى ذلك في صيغٍ عِدَّة تحملُ معانيَ متنوّعة، تعكسُ تطوُّر هذه اللَّفظة عبر القرون في ثقافةٍ لُغويَّةٍ ثَريَّة.

ففي لِسَان العرَب: الكَذِبُ: نقِيض الصّدقِ؛ كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا وكِذْبًا وكِذْبَةً وكَذِبَةً: (هاتان عن اللّحيانيّ) وكِذَابًا وكِذَّابًا؛ ككِتاب وجِنَّان، وقد شاع استخدام تِلكم الألفاظ في العديد من السِّياقات الشِّعريَّة، منها ما أورده ابن منظُور منسوبًا إلى اللّحيانيّ:

نادَت حَليمةُ بالوَداعِ وآذَنَتْ *** أهلَ الصَّفاء وَودَّعتْ بكِذَابِ[iii]

ورجلٌ كاذِبٌ، وكَذَّابٌ، وتِكْذابٌ، وكَذوبٌ، وكَذوبةٌ، وكُذَبَة مثال هُمَزة، وكَذْبَان، وكَيْذَبان، وكَيْذُبان ... وكذَبَ الرجل: أَخبرَ بالكذب ...، وبيَّن كذبه[iv] " وأكْذَبَه: ألفاه كاذبًا، وحملَه على الكَذِب ... وكُذِبَ الرَّجُلُ: أُخبِر بالكَذِب ... وتَكَذَّبَ: تكلَّفَ الكَذِب، وتَكذَّبَ فُلانًا: زعَم أنَّه كاذِبٌ. وكاذَبتُه مُكاذَبةً وكِذَابًا، وكَذَّبَ بالأمرِ تَكْذِيبًا وكِذَّابًا: أنْكَره، وكَذَّبَ فُلانًا: جعلَه كَاذِبًا، وكَذَّبَ عن أمرٍ قد أرادَه: أَحْجَم، وكَذَّبَ عن فُلان: رَدَّ عَنْهُ ..." [v]

فالكَذِبُ يُعدُّ من الأضداد الأساسيَّة للصِّدق، ويُعبَّر عن وقوعِه باستخدام الأفعال السَّالفة الذِّكر في اللُّغة العربيَّة، كما تُستخدم مشتقَّات اللّفظة للتَّعبير عن مستوياتٍ مختلفة من الكذِب والتَّضلِيل؛ حيثُ يمكن أن يُطلق على الشَّخص صِيَغًا متعددة ككاذِبٌ، كذَّابٌ، تِكْذابٌ، وكَذُوبٌ ... وغيرها ممّا ورد في المعاجم العربيَّة.

كما أنَّ الفعل (كَذَبَ) يأتي بمعنى أن يُخبر المرء بالكذِب أو يُبيّن كذبَه للآخرين، وفي قولِنا: أكْذَبَه: أي جعلَ الآخر يُصرّح بكذبِه، كما نلاحظ أنَّ استعمالَ الأفعال التي تعني التَّكذيب مثلَ: تكذَّبَ يُستخدم للدَّلالة على الادّعاء بالكَذِب، ويُستخدم في سِياقات تكْذِيب الشَّخص قولًا أو فعلًا.

وفي مختار الصِّحاح: نجد أنَّ (الكُذَّب) جمع لكلمة (كَاذِب) على زِنة راكِع ورُكَّع، و(التَّكاذُب) يشيرُ إلى سلوك الكذِب المُتَبادَل بين الأفراد؛ حيثُ جَاء على وزن (التَّفاعُل) وهو ضدُّ التَّصادق، أمَّا (الكُذُب) بضَمّتيْن فيَجْمَع كلمة (كَذوبٍ) كما في صَبورٍ وصُبُر، وهو يُشِير إلى مَن يتَّسِم بالكَذِب المستمِرّ ... وتُشير لفظة (الأُكذوبةُ) إلى الكَذِبُ، وربَّما إلى الكذبة الكَبِيرة أو المُخْتَلَقَة، و(أكْذَبَه) : جعلَه كَاذِبًا، و(كذَّبَه): أي قالَ له كَذَبتَ، وقال الكِسائيّ: (أَكْذَبَه) أخبرَ أنّه جَاء بالكَذِب، ورواه (كذَّبهُ) أخبرَ أنّه كاذبٌ، وقال ثَعْلب: هُما بمعنى واحد .[vi]

ثانيًا: الكذِب في الاصْطِلَاح:

أمَّا في الاصْطِلاح فإنَّ الكذبَ يصطبغ بدَلالات أكثر تركيزًا وتعقيدًا تتجاوزُ مجرَّد مخالفة الحقيقة، ليصبحَ الكذب أداةً تحملُ أبعادًا نفسيَّة ودينيَّةً واجتماعيَّةً، يتم استخدامُها في سياقاتِ مُختلفةٍ تتعلَّق بنوايَا البشر وتفاعلاتِهم.

فالكذب خلاف الصِّدق[vii]، وهو نوعٌ من التَّزييف المتعمَّد (التَّزييف عن قصد)، في مقابل (التّزييف اللاإرادي) الذي يعني الخطأ عن جهل، أو عن عدم معرفة، ومن ثَمَّ إذا كان الكذب نوعًا من الخطأ المتعمَّد؛ فإنَّ الخطأ غير المقصود لا يعدُّ كذبًا، فالكَذَبة يكونون أقوياء وأذكياء وعارفين وعقلاء في تلك الأشياء التي يكونون كاذبين بشأنِها.[viii]

والكذَّاب: الذي يميل دائمًا إلى استخدام الصِّيغ الزَّائفة، وهي تلك الصّيغ التي تعبِّر عن موضوعات لا وجودَ لها[ix]، "ومن ثَمَّ فكلّ صيغة هي زائفة عندما تنطبق على شيء غير الشيء الذي هو حقّ، على نحو ما نقول كذبًا عن الدَّائرة: إنّها المثلَّث"[x]

ويقولُ الجرجانيّ: "كذِب الخبرِ عدم مطابقتِه للواقع، وقيل: هو إخبارٌ لا على ما عليه المخبَر عنهُ"[xi] أي أنَّه إخبارٌ بالشيءِ على خِلاف الواقع، أي "بخلافِ ما كان عليْه"[xii] قولًا أو إشارةً أو صمتًا عن الحقيقة، وفي الكليَّات: "الكذبُ: كل خبر مخبره على خلاف ما أخبره فهو كذب"[xiii]

ولمَّا كان الصدق والكذب ممَّا توصفُ بهما الأقوال والأفعال فإنَّ كل ذيِ دلالة مقصودة إمَّا أن تكون دلالته صادقة، وإما أن تكون دلالته كاذبة، فالصادق منها ما وافق الحقيقة، والكاذب منها ما خالف الحقيقة والواقِع[xiv]، ولا يقتصرُ هذا المعنى على اللفظِ فقط؛ بل يشمل أيضًا الحركات التعبيريَّة الكاذبة، كإشارات اليد والعين والرَّأس والحاجبيْن، وغيرها من الإشارات غيْر اللُّغويَّة، وهي التي تحمل دلالاتٍ مغايرة للحقيقة والواقع، فكم من إشارةٍ فِعْليَّة تقوم مقام القولِ في دَلالتها، وتوازي الكلام غير أنَّها سيميائيَّات تعبيريَّة.

وممّا قيل في شأنِ الكذب وذمِّه أنَّ الكذبة الواحدة قد تستوجب عدَّة كذبات لتغطّيها، ذلك لأنّ الكاذب يخلق في الدنيا بكذبه مالم يكن، يخلق خيالًا لا يتفق والواقع، وقد يضطرُّه هذا الخيال أن يكذبَ كثيرًا ليوفِّق بين خياله والواقع، ولا يزال يكذب حتّى يفقد ثقةَ النّاس به، ويفقد تصديقَهم له حتى فيما هو صادقٌ فيه[xv].

والإسلام لاحترامِه الشَّديد للحقّ طارَدَ الكذَّابين، وشدَّد عليهم بالنَّكير[xvi] وعن عائشة أم المؤمنين قالت: "ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلّم- من الكذب، ما اطَّلع على أحد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه حتّى يعلم أنَّه قد أحدث توبة" فالكذب رزيلة محضة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك ينشيء الشرّ إنشاءً، ويندفع إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة، أو طبيعة قاهرة.[xvii]

فلا عذر ألبتّة لمن يتَّخذون الكذب خلقًا ويعيشون به على خديعة النَّاس، قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلَّم- : يطبع المؤمن على الخلال كلّها، إلا الخيانة والكذب"[xviii]

الكذِب بوصفه ظاهرة لسانيَّة:

يعدُّ الكَذِب أحد الظَّواهر الإنسانيَّة المعقَّدة؛ لارتباطه ارتباطًا وثيقًا باللُّغة في تفاعلِها مع الواقِع الاجتماعيّ والنفسيّ؛ فالكذِب فعلٌ لغويّ مُتقَن، لا مجرد تزييف للحقائِق، هذا الفِعل يعوّلُ على آليَّات متنوّعة مثلَ: التَّلاعب بالمعنى، وتوجِيه الرسائِل بصورة غير مباشرة لتحقِيق أهداف بعينِها.

"واللُّغة ضربٌ من العَلامات التي تتراوح دلالتها بين الوصول إلى المقاصد وبين تعدد الاحتمالات؛ لذلك غالبا ما تتسع المدلولات بتوسع الدلالة، وعليه فإن فاينرش في كتابه (اللُّغة والكذب) يضع الدلالة وَفق أربعة مبادئ؛ هي: كل دلالة فضفاضة، كل دلالة غامضة، كل دلالة اجتماعية، كل دلالة مجردة."[xix]

فما أردتُه من دراسة الكذِب لُغويًا هو دراسته بوصفِه فهمًا للسّياق الذي يُنتَج فيه، وفهمًا للغاياتِ التي يسعى المتكلِّمُ لتحقيقها بوساطةِ مخالفته الحقيقة، فالكذِبُ فعلٌ لُغويّ يتجاوز فكرة مخالفة الواقِع، أو مجرّد التَّلاعُب بالكلِمات؛ لتتَّسِع دائرته إلى وصْفِ التَّفاعلات المعقَّدة بين اللُّغة والسِّياق الاجتماعيّ والثَّقافيّ، وعليه يمكننا دراسته من خلال عدَّة زوايا لِسانيَّة رئيسَة – وهي ما ترتكز عليها هذه الورقة البحثيَّة-:

<u>التحليل التَّداولي للكذِب</u>: عندمَا يقوم المتكلِّم باللّجوء إلى الكَذِب لتحقيق هدف ما، اجتماعيّ، أو نفسيّ، أو ثقافيّ، أو دينيّ، فالسياقات التَّفاعلية التي تحيط بالكذب هي ما تقودُنا لفَهم دوافع المتكلّمين به.

كما يمكن رصد الكذب تداوليًّا من خلال الأفعال الكلاميَّة (الفعل الإنجازي، والفعل التّأثيري)، رغم عدم قبول فكرة الكذب – لدى البعض- تحت مظلَّة الفعل الإنجازيّ لاحتوائِه على مقصد المتكلّم، ففي حال ادّعاء الأخبار تصبح الأفعال على خلاف الحقيقة، وهنا ستحمل الأفعال الإنجازيَّة تناقضًا حقيقيًا بين المقاصد الحقيقيَّة والكذب (في إخبارها)، أمّا الفعل التّأثيري فهو يتحقق من خلال إنتاج القول – أي أنّ تحققه غير مباشر- وعليه، فنجاح الفعل التّأثيري للكذب مرتبط بشكل أو بآخر بنجاح الفعل الإنجازي الذي يلزم منه أن يعتقد المخاطب بصدق ما أخبره به المتكلّم [xx].

<u>خرق مبدأ التَّعاون:</u> وفي رحلة التَّحليل التَّداوليّ للكذِب نعتمدُ على مبدأ (جرايس) الذي قرَّر ضرورة تعاون المتكلّم مع المتلقِّي في مبادئ أربعة هي: (الكميَّة، الكيفيَّة، العَلاقة، والأسلوب)[xxi]، فالفِكرة أكثر اعتمادًا على كميَّة المعلومات المقدّمة، وبمدى صدقِها، ومناسبتِها، والكيفيّة التي صِيغَت بها، وعدَّه وفقًا لذلك أساسًا لنجاح العملية التّواصليَّة؛ أما اختفاؤه فيؤدّي إلى فشل الفِعل اللُّغويّ[xxii]، والكاذِب وَفْقَ هذا المَبْدأ يقومُ بخرْقِ واحدةٍ أو أكثر من هذه المبادئ الأربعة الأسَاسيَّة، ممَّا يخلقُ تَبايُنًا بيْن ما يُقال وما يُقْصَد.

وتتلخَّص فكرة (جرايس) في أنَّ مساهمات المتكلّمين في المحاورات يحكمها أثناء المحادثة مبدأ عام – مقبول ضمنيًا من المتخاطبين – هو ما يسمّيه مبدأ التَّعاون، فهو يرى أن التَّعاون يعني تلبية المتكلِّم -المساهِم في محادثة- ما هو مطلوب منه بحسب الكيفيَّة التي جَرَت بها المحادثة والوِجْهَة التي اتّخذتها[xxiii].

<u>الكَذِب والسِّياق:</u> فالسِّياقات النَّفسيَّة، والاجتماعيَّة، والثَّقافية، والسِّياسيَّة، والدِّينيَّة تلعب دورًا رئيسًا في تشكِيل الكَذِب، فكلّ ثَقافةٍ تمتلكُ معايير مغايِرة عن الأخرى، وعليْه، يعتمدُ الكذِب كظاهرةٍ لِسانيَّة على فَهْم وتقبُّل هذا السّلوك اللُّغويّ ضمن ثقافةٍ ما، أو في ظِلّ مجتمعٍ بعينِه، ومدى تأثُّرِه بالعواملِ المختلِفَة.

<u>الكذب كأداةٍ بلاغيَّة:</u> حيثُ يُوظَّف الكذِب تعْبيريًا لإيصالِ رسائل بعينِها ضمن سياقاتٍ تتطلَّبُ التَّلاعبَ بالواقِع؛ ففي الأدب، يكون الكذِب وسيلةً منطقيَّة لفهمٍ أعمق للذَّات البشريَّة، يُعبّرُ عن تناقضاتٍ أو صِراعَاتٍ داخليَّة لدى الشَّخْصِيَّات -أبطال الأعمَال الأدبيَّة-، وزَعم "(هوميروس) في ملاحمِه أنَّ إجادة الكذب علامة رُقيّ وحسن أدب، وهو مؤشِّر على إبداع الأديب، ونهجٌ من نُهوج الكتابَة، وربَّما كان هذا الرأي مدعاةً لأفلاطون أن يستثني الشعراء من أن يكونوا أعضاء في المدينة الفاضِلة؛ لأنهم يبثّون الأكاذيب ويحرِّفُون تفكير الشَّباب عن الجادّة وسبيلِ التَّفكير القويم"[xxiv] .

فدراسة الكذب لُغويًا يتضمَّن تحليل العوامل التَّداوليَّة المرتبِطة به، كخرق مبدأ التَّعاون، والخروج عن السِّياق، مما يسهمُ في بناء تصور شامل لفَهم هذا الفعل اللُّغويّ من الوجهة اللِّسانيَّة.

- **قِصَّة (مَظْلُوم) وسِياقها العام**

ملخَّص موجَز للقِصَّة وأبرز شخصيَّاتها:

تسلِّط قصَّة (مظلوم) ليوسف إدريس الضوءَ على واقع يتجلَّى فيه صراع الذّات مع المجتمع، وتكشف عن تناقضات إنسانيَّة في بيئة مشحونة بالتَّوقُّعات والأحكام المسبقة، حيثُ تدور أحداث القصة في مستشفى كبير يعمل فيه الدكتور عبد المجيد – بطل القصَّة- الذي يعاني من تناقض كبير بين حياتِه المهنية وحياتِه الشَّخصيَّة التي يُغلِّفها الميل إلى الهروب من الواقع واللامبالاة بتعاطيه المخدِّرات، وينضمّ إلى المشهد رجل معتقل من قِبَل الشرطة بتهمة حيازة المخدرات، يُصِرُّ على براءته ويتبنّى شخصيَّة (المظلوم) ليواجه قسوة الواقع والمصير، وتدور أحداث القصة ويُكشَف النّقاب عن بعض التَّساؤلات عن مفاهيم العدالة والظلم والبراءة، وكذا عن تأثير الأدوار الاجتماعية والتّوقّعات الثّقافية في تصرفات الأفراد، وتتفاعل الشخصيَّات في لُعبَة اجتماعيَّة معقَّدة من الإنكار والتَّبرير، وتتشابك الأسئلة الأخلاقيَّة مع التَّوتُّرات النفسيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة من خلال الشخصيات والسياق الذي يتأرجح بين دوريْ الضحايا والجناه[xxv].

الإطار الاجتماعي والسياسي والفكري الذي يميّز القصّة:

تُعدُّ قصَّة (مظلوم) نموذجًا مهمًا يعكسُ طبيعةَ التَّفاعلات الاجتماعيَّة والسياسيَّة والثقافيَّة في سياقِ المجتمع الذي تدورُ فيه الأحداث، تتداخلُ فيها هذه الأبعاد التي نلحظهَا من خلال العَلاقات بين الشَّخصِيَّات؛ فنجدها على النَّحو التَّالي:

الإطار الاجتماعي: تُصوِّر قصَّة (مظلوم) واقعًا اجتماعيًا يعكس التوترات الطبقيَّة والنَّفسيَّة في مجتمعٍ يعاني من الفقر، والإدمان، والظلم، حيث تُسَلِّط القصةُ الضوءَ على حياةِ الأفراد الذين يعيشون على هامش المجتمع، عندما تتداخل التَّحديات الشَّخصية مع الضغوط الاجتماعيَّة؛ فتنكشف المواقف التي يمارس فيها الأفراد التَّلاعب أو الكذِب لتأمين مصالِحِهم في ظلّ غيابِ العدالةِ الحقيقيَّة، كما تُظهر التَّفاوت بين الطَّبقات الاجتماعيَّة، من خلال تفاعلات الشخصيَّات مع السُّلطَة والتَّحديات اليوميَّة، فالقصة تُعبِّر عن أزمة اجتماعيَّة ترتكز حول الظلم والفقر، كما تسلِّط الضوءَ على واقعِ الأفراد الذين يتصارعُون مع هذه القُوَى في حياتِهِم اليوميَّة.

الإطار السياسي: تتداخل ملامح السلطة والنِّظام في القِصَّة بشكلٍ غير مباشر؛ فـ(الضَّابط) الذي يمثل السلطة القانونيَّة والسياسيَّة، يتفاعل مع الطّبيب (عبد المجيد) ومع بقية الشخصيات في إطار من السيطرة والتَّوجيه، لكنه في الوقت ذاته يظهر جانبًا بشريًا يخالف الصورة النَّمطيَّة السَّائدة للسُّلطة، و(العساكر) الذين يرافقون الضابط هم الأدوات التَّنفيذية للنظام، يظهرون في القصة كعناصر للسلطة التي تسير وفقًا للأوامر دون نقاش، ممَّا يسلط الضوء على النظام السياسي في هذا المجتمع الذي قد يكون مفروضًا بشكل رسميّ لكنه أحيانًا يتَّسم باللامبالاة والمرونة في المواقف اليوميَّة، فالسُّلطة من واقع القصَّة ليست ثابتة، بل تتخللها جوانب إنسانيَّة تظهر في لمحاتٍ بعيدة عن القيود الرسميَّة.

الإطار الثَّقافي: بيَّنت القصَّة لمحات من القيم الثَّقافية في سياقِها، وأظهرت بعض ما يشكِّل وعيًا جمعيًا، عند الإشارة إلى أمّ كلثوم وأغانيها[xxvi]، وقد شكَّلت هذه الفكرة الثَّقافية نوعًا من القواسِم المشتركة بين الشَّخصيات، حيث يلتقي الضَّابط وعبد المجيد على أرضيَّة ثقافيَّة مشتركة تتجاوز الفروق الطبقيَّة والمهنيَّة، ممَّا يلفت النَّظر إلى روابط غير مرئيَّة بين الأفراد، تشكِّل هُويَّتهم الاجتماعيَّة، وتُسهم في إزالة الحواجز بينهم، وتُقدم نموذجًا لفهم الإنسان بعيدًا عن التسلسل الهرميّ الاجتماعيّ التَّقليديّ.

الإطار الفكري: تعكس القِصَّة تحديًا للفِكر التقليديّ في المجتمع تِجاه المِهَن والطَّبقات الاجتماعيَّة، فيمثّل عبد المجيد الفِكرَ التَّقدميّ الذي لا يلتزم بالقَوالب الجاهزة التَّقليديَّة عن المِهَن والأفراد، وهو ما يَظْهَر في سلوكِه غير التَّقليديّ، واستخدامه للُّغة غير رسميَّة في مواقف رسميَّة، وهو مَا يتحدَّى التَّوقعات المجتمعيَّة، وأن يعبرَ عن ذاتِه بأسلوبٍ غير مألوف، في مقابل ذلك، يظهر الضَّابط بموقفِه الذي يعكسُ نوعًا من الفِكْر المُحافِظ، فيحاول أن يتَنَصَّل من الضُّغوط الاجتِماعيَّة؛ لكنَّه يظلّ مُرتبطًا بهُويتِه الرَّسميَّة كممثِّل للسُّلطة.
تتداخل إذن الإطارات الاجتماعيَّة والسياسيَّة والثقافيَّة والفكريَّة في هذه القصة لتكشفَ النِّقاب عن التَّوترات والتَّحولات التي تحدث بين الأفراد في ظلّ هيمنة السُّلطة والنِّظام الاجتماعي؛ فنفهم من خلال تحليل الشخصيات والعلاقات بينها –وهو ما سيأتي في المبحث التّالي- كيفيَّة تفاعل هذه الأبعاد في بناء هُويَّات اجتماعيَّة معقَّدة، وكيفيَّة تأثير السُّلطة في هذه الهُوِيَّات، وكذا تأثير الثَّقافة الشعبيَّة والفِكر غير التَّقليديّ في هذه القِصَّة في فَهم العَلاقات الإنسانيَّة بعيدًا عن الفروقات الأخرى.

<u>قِراءة تداوليَّة لشخصيَّات قِصَّة (مظْلُوم):</u>

تقدِّم قصَّة (مظلوم) نموذجًا غنيًا لتفاعل الشَّخصيَّات في سياقٍ اجتماعيّ معقَّد، يعكسُ الأبعادَ النفسيَّة واللُّغويَّة والتَّداوليَّة التي تشكل سلوك الأفراد وتفاعلاتهم، وفي هذا المَبْحث نحاول فَهم اللُّغة كأداةٍ لتحديد العَلاقات بين الأفراد وتأثير السياقات الاجتماعيَّة والنفسيَّة والثَّقافيَّة عليهم.
وأعني هنا بالقراءة التداوليَّة المنهج الذي نرتكز عليه لرصد استخدام اللُّغة في سياق تفاعليّ بين الأفراد، ورصد ما تنبئ عنه من دلالات في إطار هذا التَّفاعل، ويمكن تحليل الشَّخصيَّات في القِصَّة وفقًا لهذا المنهج من خلال التَّركيز على استخدام اللُّغة بين الشَّخصية الرئيسَة (عبد المجيد) الطَّبيب، والشَّخصيات الأخرى مثل الضابط و العسكريين والممرّض، والرّجل المتلبِّس .. ويمكننا القراءة على النَّحو التّالي:
<u>الطَّبيب عبد المجيد:</u> الشَّخصيَّة المحوريَّة التي ترتكز عليها القصة، يتَّسم بتناقضٍ كبيرٍ مع الصورة النَّمطيَّة للطبيب؛ فهو طويل ونحيف وذو ملامح شاحِبة، هذه الملامح الجسديَّة تشير إلى شخصيته الغامضة وغير المتوقَّعة، فـ**"النَّاس يعتقدون أن الطّبيبَ لابدّ أن يكونَ قصيرًا، سمينًا له كرش وعنق غليظ، وعلى عينيه نظّارات، وفوق ملامحه بسمات طيّبات"**[xxvii] وتندمج ملامحه مع سلوكِه الذي يبتعد عن المسار الطبيّ التقليديّ في المواقف الاستثنائية، حيث نجده يتعامل مع المواقف الطبيَّة المهمَّة - مثل حالة الرجل الذي ابتلع الحشيش- بروح الفكاهة والمرونة التي تبدو بعيدةً عن الجديَّة المتوقَّعة من شخصٍ في موقِعِه، وهذا يكشف عن بعده الإنساني[xxviii]، حيثُ يُظهر مرونة في تعامله مع الموقف، محاولًا فَهم حالة الرجل ومنحِه فرصة لتبرئةِ نفسِه من التهمة، فهذا البُعد الإنسانيّ يتجاوز البعد الطبي المحض، ويعكس قدرته على فهم المواقف المعقَّدة بشكل غير تقليدي، ورُغم سلوكه الذي قد يبدو مستهترًا – بتعاطيه الحشيش-؛ إلا أنّه يظهر نوعًا من الانفتاح، مما يجعله أكثر تعقيدًا من مجرد كونه طبيبًا عاديًا؛ فتأتي هذه السلوكيات لتؤكد التَّناقض بين شخصيتِه، وطبيعة مهنته.
<u>الضابط:</u> يَظْهَر في بداية القصَّة مرتبطًا بكونه رمزًا للسُّلطة، لكنَّه ومع تطوّر الحوار بينه وبين عبد المجيد، تتغيَّر ملامحه من شخصٍ صارم إلى آخر يشارك جليسه تجاربه الشخصيَّة الحميميَّة، وهو ما يعكس تفاعلًا حقيقيًا بعيدًا عن واجبات العمل الرسميّ، حيث بدأ يتبادَل الذكريات مع عبد المجيد في أجواء غير رسميَّة؛ فعبَّر عن محبّته لأغاني أم كلثوم وذكريات الطفولة، وهذا يعكس بُعدًا تداوليًا في العلاقة بين الطرفيْن بعيدًا عن التوتر الرسميّ، وحديثه عن مَهمَّات التَّفتيش، و**(القاعدة في روف واحد نعرفه في مصر الجديدة)**[xxix] -على حدّ قوله-، كل هذا يعبّر عن جانب إنسانيّ يخرج به عن إطارِه الرسميّ التّقليديّ.
<u>العسكريَّان:</u> هما الذيْن يرافقان الضابط طيلة أحداث القصة، ويمثّلان جزءًا من السلطة التَّنفيذيَّة، أو لنقُل هما مجرد أدوات لتنفيذ ما يقرره الضابط، يتّضح تفاعلهم مع عبد المجيد في لحظةٍ مشوّقةٍ عند فتح الحِرْز

–قطعة الحشيش- حيث يصف أحدهما القطعة وصف خبيرٍ بقوله: **"باين عليها غبارة يا بوي"**[xxx] للدلالة على جودتها العالية، وهو ما يضيف بعدًا رمزيًا إلى القصة، يتَّضح بحديثهم العفوي الذي يعكسُ خبرة ومِرانًا ودُربَة، ويظهر العسكريّان كجزء من البيئة الاجتماعيَّة التي تشكلها هذه الشخصيات.

أمَّا العَلاقات بين الشخصيَّات في القصة فتتّسِم بتفاعل غير رسمي؛ فرُغم الاختلافات الواضحة في الوضع الاجتماعي بين كلٍّ من: (الطبيب، الضَّابط، العسكريَّان، والرّجل المتَّهم)، فإنَّ اللُّغة المشتركة التي يتشاركونها في سياق غير رسميّ توحي لنا باندماج هذه الفئات معًا في مواقف تصطبغ بالصَّبغة الفكاهيَّة، خاصَّة في تلك الحوارات التي تدور حول (الحشيش).

ويتطوَّر التَّفاعل بين عبد المجيد والضابط؛ حيث يبدأ بالتَّواصل المهنيّ، ليستحيلَ إلى علاقةٍ تتسم بالألفة والحديث بأريحيَّة عن ذكريات الطفولة والمطرب المفضَّل، ممَّا يثبت أنَّ التَّفاعلات اليوميَّة يمكن أن تكسِر الحواجز بين الأفراد وتؤثر في مسار الحديث، بل إنَّ هذه التّفاعلات أوضحت الشبه الكبير بين الشخصيَّتين ونقاط التّلاقي التي كشفها الحوار، حتّى في تلكم النّقطة التي لم يذكرها الكاتب صراحة بل لمَّح إليها تلميحًا عبقريًا وأشار إليها إشارة ذكيَّة عندما وصف عينيْ الضابط: **"وافقه وهو ينظر إلى عيني الضابط الجميلتيْن، وقد غرقت حبَّتاهما في بحيرة، ليست حمراء تمامًا، ولا هي بيضاء، إنما لها ورديَّة البين بين"**[xxxi]وهو ما ذكره بالوصف ذاته عندما تحدث عن الطبيب عبد المجيد، فقال: **"ودخَّن عبد المجيد حتّى أصبحت عيونُه ليست حمراء تمامًا، ولا هي بيضاء، إنّما لها ورديَّة البين بين"** [xxxii]، وهو ما سكت عنه الكاتب وترك للقاريء مَهمَّة تأويله..

يتَّضح من خلال التَّحليل السَّابق وقراءة الشَّخصيَّات وَفق تفاعلاتهم اللُّغويَّة أنَّ القصةَ تقدِّمُ نموذجًا جيدًا لِلتَّفاعل الحيّ بين شخصيَّات متعددة، تتنوَّع بين الرَّسميَّة وضدِّها، فلم تكن اللُّغة هنا مجرد أداة للتَّواصل؛ بل كانت أداة لتشكيل العَلاقات الاجتماعيَّة وتفسير المواقف، وقراءة السِّياق .

لسانيَّات الكذِب في قصّة (مظلوم) ليوسف إدريس

"شكَّلَ مفهوم الكذب موضوعًا بالغ الأهميَّة في الفكر الفلسفي مند بداياته الأولى؛ فالفلسفة بحث عن الحقيقة وسعي إليها، ولا يمكن بلوغ هذه الغاية إلا عن طريق تعرية أضدادها، المتمثِّلة في الوهم، والزيف، والأسطورة، والخيال، ولعلَّ في الحوارات السقراطية ضد السفسطائية، والكهف الأفلاطوني، والتمييز بين الحقيقة والدوكسا (الفكر اليومي)، والحقيقة والدوغما، أبلغ مثال على هذا الأمر"[xxxiii]

وعليه، نجد أنّ تحليل الحوار من منظور لِسانيَّات الكذب يعدُّ وسيلةً لفَهم تداخل الواقع والوهم، حيث تتجلَّى لُعبَة الأفعال الكلاميَّة بين التزييف والإقناع، نرصد ذلك في السّطور التّالية:

السّياق التّداوليّ[xxxiv] والكذب في قصة (مظلوم):

(تحليل الحوار بالقِصَّة من منظور لسانيَّات الكذِب)

تتعامل اللُّغة مع الكذب بوصفه ممارسة لُغويَّة تُستخدم للتَّلاعب بالمعرفة أو بالحقيقة ضمن سياقات اجتماعيَّة معينة، وقد يكون الكذِب ظاهرًا، مثل طرح معلومات مغلوطة بطريقةٍ صريحة، ويتمثَّل هنا في الكذب الاجتماعيّ؛ حيث يتلاعب المتكلِّم بالمعنى ويهدف من وراء ذلك إلى تحقيق أهداف اجتماعيَّة، وعادة لا يكون ناتجًا عن نوايا سيئة، بل قد يكون أداة تفاعليَّة تعكس العَلاقة بين الأفراد في المحيط الاجتماعي، فنجد الكذب الاجتماعيّ يظهر من أجل تحقيق التوازن، وتخفيف التوترات، ولحماية الذات، أو للتعامل مع المواقف الصعبة بطريقة أقل تعقيدًا؛ "فالكذب سمة يجلبها الخوف والفقر والاحترام والتَّأدب والمجاملات... وغيرها من الأسباب، هو موجود في الكون وموجود فينا ومن حولنا، أمَّا عَلاقته باللُّغة فهو محايث للُّغة جاثمٌ على نسقِها."[xxxv]

وتمثِّل قصة (مظلوم) نموذجًا معقدًا للكذِب والتَّلاعب في الحياة اليوميَّة، ففي سياق تحليل الحِوارَات الوارِدَة في القصَّة؛ تتَّضح لنا جملةً من الأساليب اللُّغويَّة التي تتصدَّر المواقف الاجتماعيَّة المعقدة، فتؤكِّد لنا أن الكذبَ هنا ليس مجرد تلاعب بالكلمات بهدف إخفاء الحقائِق؛ بل هو وسيلة لتعزيز الديناميَّات الاجتماعيَّة، إمَّا بتسهيل التَّواصل أو لتجنب المواجهات المباشرة مع الواقع، ولتحليل هذه الظاهرة من منظور لسانيَّات الكذب، نحتاج إلى النَّظر في تفاعل الشَّخصيَّات مع بعضها ومع المواقف التي تطرأ لهم، كما نعوّل أيضًا في هذا المبحث على فَهم بعض النِّقاط التي تتضمن الخروج عن مبدأ التَّعاون[xxxvi] (كمًا، وكيفًا ومناسبةً وطريقة)، وهو مبدأ عام يقضي بتعاون المتخاطبين في تحقيق الهدف من حوارهم[xxxvii]، وهو ما يقودنا إلى فهم آليَّات خرق هذه المبادئ وأثرها في إنتاج الكذب وتفسيره، وذلك وفقًا للرؤية التَّالية:

نلحظ في سِياق القِصَّة استخدامًا للاستفهام كأداة تداوليَّة في مواقف عدة، فنجد الطّبيب (عبد المجيد) يستخدمُ أسئلة تبدو بريئة أو عفويَّة في سياق القصَّة، لكن بإعادة القراءة والوقوف عليها نجد أنّها مليئة بالتَّحايل والمراوغة، ممّا يعكس تفاعله المغاير مع المواقف المختلفة، ففي سؤال (عبد المجيد) للرجل المتَّهم: **"بلعتها ولَّا رميتها؟[xxxviii]"**، نقرأه للوهلة الأولى كاستفسارٍ بسيطٍ عن ما إذا كان الرجل قد ابتلع الحشيش أم لا؛ لكنه – وبإمعان النَّظر- نجده سؤالًا مغلَّفً، فهو سؤال خبير له باع في هذا الميدان بالمرانِ والدُّربة، فمن خلال سؤاله يُتيح (عبد المجيد) للرجل فرصةً لإجابة غير مباشرة، يجنب بها وقوعه في الحرج أو المساءلة القانونيَّة الصَّارمة، وهو نوع من التَّلاعُب اللُّغويّ بدا لنا في هذا السؤال ليظهرَ توجيهًا اجتماعيًّا، يوجه به البطل (عبد المجيد) الحوارَ بطريقة تُبقِي الموقف في إطار التحايل الاجتماعي بديلًا عن المواجهة.

كما نلحظ في هذا السُّؤال خرقًا لمبدأ الكم عند (جرايس) الذي يتلخّص في أن يجعل المشارك في الحوار إسهامه فيه بالقدر المطلوب منه، من دون أن يزيد عليه أو ينقص منه[xxxix]، فالسؤال يبدو بسيطًا، لكنه – كما رأينا- يتضمَّن الكثير من الافتراضات التي تزيد الموقف غموضًا، مما يؤدي إلى توجيه الحديث وجهات مغايرة، وعندما يكرر المتّهم **"يا ناس مظلوم!"[xl]** فإنه يقدم مزيدًا من المعلومات أيضًا التي تُركِّز على استباق مواقف الآخرين حول الظلم، مما يضفي نوعًا من التَّضليل، فخرق مبدأ الكَمّ هنا في يتمثَّل في كلٍّ من السؤال والرد؛ مما يؤدّي إلى تغذية الكذِب بطريقةٍ تزيد من تداخل المعلومات جرَّاء كثرتها، وتحميل الأكاذيب حمولات عاطفيَّة.

حافظَ (عبد المجيد) في حوارِه على خلق مسافة آمنة بين الواقع البائِس الذي يعيشه الرجل وبين تفاعله معه، ففي قول الرَّجل: **"والله معرف حتى شكله.. والنبي مظلوم!"[xli]** هذه العبارة تكشف عن استخدام الرّجل (المتَّهم) للكذب الدفاعي –الذي سنفصِّل فيه القول في المبحث التّالي-، حيثُ يحاول الرجل تبرئَة نفسه بوساطة الكذب كأداة لُغويَّة للتَّفاعل الاجتماعيّ النَّاجح؛ تهرُّبًا من اعترافه بما نُسِبَ إليه، فيتبنَّى الإنكار وسيلة لذلك، ويواجه (عبد المجيد) إنكارَه ذلك بنوع من الفخر والإعجاب، حيث يصف (إدريس) ردّه فعله: **"ونظر له عبد المجيد وقد كَبِر في عينه وابتسم وكأنَّما يقول له: لا والله جدع يا واد"[xlii]** وهي نظرة خبير بهذا العالم، وفي الوقت ذاته يحافظ على المسافة الآمنة -السَّالفة الذِّكر-، فقد استُخدِم الكذبُ في هذا السِّياق دفاعًا عن الذات، وهروبًا من المسؤولية، وتخفيفًا لحدة الموقف الاجتماعيّ.

وإذا ما أعدنا النَّظر في جملة (عبد المجيد) التي أسرَّها في نفسه، وبدت فقط في ملامحه، ردًا على جملة الرجل المتَّهم الإنكاريَّة، حيث عبَّر بها موهِمًا القاريء بتعاطفه الكامل، مع مسحة الفخر والإعجاب، وطيف من المرونة الإنسانيَّة ظهرت مع جملتِه الممزوجة بالفخر والإعجاب[xliii]، حيث أظهرت هذه العبارة قدرةَ (عبد المجيد) على المزج بين الواقع السَّلبيّ، والحفاظ على مساحةٍ من التَّفهم يفسِّرها وصف سلوكه الذي سرده الكاتب في بداية القِصَّة، وقد استخدام الطبيب هذه العبارة كأداةٍ لتوجيه الرجل نحو موقفٍ أخفّ عاقبة، مما يخلق توازنًا بين الحقيقة (التي يراها الطبيب)، والأبعاد الاجتماعية التي يعايشها، وعليه يتَّضح أنَّ (عبد

المجيد) يمارسُ نوعًا من الكذب الاجتماعيّ، حيث يعكس عطفَه بطريقةٍ تُظهِر دعمًا ومرونة، تكشف عن جانبِه السلوكيّ، لكن دون تقديمِ الحقيقةِ بشكلٍ صارم، وهو نوعٌ من تلاعب بالتّصور الاجتماعي بعيدًا عن الكذب الصَّريح.

كما نجد نوعًا من الكذب يؤدي إلى خرق هذه العلاقة بالإتيان بكلام غير مناسب[xliv]، وتقديم شيء غير متوقع أو غير منطقي داخل السِّياق، وهو ما يبدو جليًا في رد فعل (عبد المجيد) كطبيب، من المفترض أن يتعامل مع الحالات الطبية بجدية ومهنية، لكنه يظهر في القصة بشكل غير تقليديّ، يستخدم التّلاعب اللَّفظي مع المتَّهم، فيتحدث معه في قالب غير رسميّ خارج السياق الطبي الصارم، ويخلق تناقضًا بين دوره كطبيب وبين تصرّفاته الغريبة، وهو ما يخلق شكًا كبيرًا، ويزيد من حالة التّعقيد والغموض.

ونجد كذلك نوعًا من الكذبِ في العَلاقات وفي التَّفاعلات مع السُّلطة، وبدا ذلك في حديثِهم عن محبَّتِهم لأغاني أمّ كلثوم، وغيرها من القواسم المشتركة التي جمعت بين (عبد المجيد) و(الضابط)، حيثُ يتجاذبون أطراف الحديث بين المواقف الشَّخصية والاجتماعيَّة التي تتجاوز تلك الأحداث المعروضة، هذا التنقل بين الفكرة الشخصيَّة والظروف الاجتماعيَّة يُظهر كذبًا اجتماعيًا استخدمه (عبد المجيد) كأداة لإثراء المحادثة مع (الضَّابط)؛ لخلْقِ نوع من التَّفاهم المشترك، ولتخفيف التوترات الناتِجة عن هذه المواقف الصَّعبة، وهو ما يقودُنا إلى حقيقة مفادها أنَّ الكذب لا يرتبط فقط بتغيير الحقائق الواقعيَّة، بل يرتبط أحيانًا بإعادة تشكيل المواقف الاجتماعيَّة بما يتلاءم مع تطلعات الأفراد واحتياجاتهم في لحظة الحوار ذاتها.

دلالةٌ أخرى نرصدها في حوار القِصَة ألا وهي السُّخرية، وهي نوع من الكذب أو التلاعب بالكلمات بغية تخفيف حدَّة الموقف، وهو ما بدا واضحًا في وصف الضابط لجلسته مع أصدقائه، أو **"القعدة"** –على حدّ قوله-، والتي تمَّ قطها بسبب أمر التَّفتيش الذي جاءه به المخبر واضعًا به حدًا لإنهاء متعته وراحته، يقول موجِّهًا حديثه لعبد المجيد: **"والليلادي كان لنا صاحب لسه جاي معمر من فلسطين، وحليت القعدة وأم كلثوم كانت بتغني..."**[xlv] فالضّابط هنا يبالغ في حديثِه ويمعن في سرد التَّفاصيل لتخفيف وطأة الموقف، فهو يستخدم الكذب الاجتماعي ليحول المأساة إلى موقف ترفيهيّ يخفف به من تبعات الموقف الاجتماعي- الذي لا يُحْسَد عليه- وخروجه في مهمَّة جادَّة لملاحقة الفساد، لتتمثل أمام أعيننا مفارقة عجيبة في صورة متناقضة رسمها الضابط بين لحظة استمتاعه بأغاني أم كلثوم في روف أحد معارفه متنسِّمًا هو وأصدقاؤه عبير الحشيش غارقين في أجواء الرفاهية، وبين اضطراره لقطع تلك اللحظة الباذخة بناءً على أمر المخبر بملاحقة أصحاب غرزة يشربون فيها الحشيش، هذه المفارقة تكشف عن تباين صارخ بين الازدواجيَّة في الممارسات والانفصال بين المجال الاجتماعي المترف، والتورط في الملاحقة القانونية، مما يفضح تناقضًا مؤلمًا بين القيم الشخصية والسياقات الاجتماعيَّة والمهنيَّة التي تحكم سلوك الفرد، فقد استخدم الضابط هنا نوعًا من التلاعب كوسيلة للتخفيف من الضغط الاجتماعي وتجنب المواجهات الصريحة، واستمرارًا لمسلسل السّخرية، التي يعدُّها (جرايس) أسلوبًا بلاغيًا يورد المتكلم فيه ألفاظًا يريد عكس معناها حيث يضعها في إطار فكرة خرق السَّائد Breach of the maxim[xlvi]، فهي استعمال الكلام في التَّعبير عن معنى يخالف معناه الأصلي، بقصد الإيقاظ وتحقيق الوعي[xlvii]، وفي هذا السِّياق يُظهِر (الضَّابط) تلاعبًا باللُّغة من خلال جملة تهكّميَّة غير مباشرة، يقول: **"الله يلعن أبو دي عيشة ... بذمتك مش حاجة تعكنن؟!"**[xlviii] فقد استخدم هذا الأسلوب السَّاخر للإشارة إلى الاستياء من الوضع الاجتماعيّ والسياسيّ، وهو في الحقيقة استخدام للُّغة في محاولة لتقليل الوعي بالواقع والتَّهرب من المسؤولية، فمثله لم يكن ليقول ذلك، بل عليه أن يكون دائمًا على أهبة الاستعداد للانتفاض تلبية لنداءات مهمَّاته الجسيمة.

كما يعدُّ ذلك خرقًا للتَّوقعات الاجتماعيَّة فمن المفترض أن يكون (الضّابط) في موقع السلطة، يحترم الأوامر، واللوائح، والقوانين؛ لكنه يبادر القاريء بشكواه بلطفٍ إلى الطبيب، كأنهما صديقان مقربان

يتبادلان هموم الحياة اليوميّة، مما يخرق التوقعات حول تسلسل السلطة في مثل هذا السِّياق المهنيّ والاجتماعيّ.

وبمزيد من القراءة المتأنيَّة رصدت الدّراسةُ نوعًا من الكذب الاجتماعيّ في بعض المواقف الاستثنائيَّة، فحينما يتم إحضار الرَّجل (المتهم) ليتعرض لعمليّة غسيل المعدة، تتبدَّى لنا مواجهة مع الحقيقة من خلال تفاعلات الأبطال أثناء هذا الفعل، فقد كان (عبد المجيد) يفضّل التَّلاعب بالكلمات في الحوار للأمان الاجتماعيّ، فليس من قبيل الصدفة أن يطرحَ (عبد المجيد) أسئلته الغامضة، بل إنَّه يتعمَّد ذلك ليواجه الموقف مواجهةً غير مباشرة.

كما يتجلّى هنا الخرق الواضح لمبدأ الكيف[xlix] الذي يرتبط بكيفية تقديم المعلومات، وخرقه هنا باللّجوء إلى الغموض ورصد التَّناقض، وهو ما يظهر في رد فعل (الضابط) الذي يتحدث عن المعاناة التي يواجهها يوميًا، ويُصور نفسه كجزء من الفئة الضعيفة المظلومة، حيث يتَّضِح التَّناقض بين الموقع الذي يشغله (الضابط) – كممثّل للسُّلطة- وبين حديثه عن المعاناة والظلم كنوع من التَّلاعب بالأيديولوجيا الاجتماعية، كما بدا في المثال السَّابق الذي يشكو فيه لصاحبه معاناته وحياته الكادحة، مما يخلق توترًا في خطاباته لا يتوافق والواقع الملموس الذي يعيش فيه.

من خلال التَّحليل السَّابق للحوار في قصَّة (مظلوم) من منظور لسانيَّات الكذِب، نجد أنَّ الكذِبَ ينتج عن الخرق المتكرر للمبادئ اللُّغويَّة الأساسيَّة وهذا يشمل تقديم معلومات مضلِّلة، واستخدام أسلوب غامض أو متناقِض، وخرق التَّوقعات من خلال التَّلاعب اللُّغويّ في صِياغة الأسئِلة والردّ عليها، وهو ما اتُّفق على أنَّه كذب، فإجماع النَّاس أو اتّفاقهم هو الذي يقرِّر ما هو صادق وما هو كاذب، فالصِّدق والكذب ما يقوله النَّاس وهم يتَّفقون أو يُجمِعون عليه في اللُّغة التي يستخدمونها،[l] وعليه فإنَّ الكذب وفقًا لهذه الرّؤية لا يمثِّلُ إساءة استخدام اللُّغة بقدر ما هو مجرَّد حيلة لُغويَة.[li]

فالخرق الفعلي للمبادئ اللُّغوية في الكذب يظهر بوضوح – في القِصَّة- من خلال عدم التزام الشخصيَّات بالمبادئ الأساسيَّة للصدق في تواصلِهم، مما يؤدي إلى انعدام التَّواصل الفعّال وغياب الفَهم المشترك، فقد استُخدم الكذب هنا لتشكيل واقع موازٍ يتلاءَم مع حاجات الشخصيَّات، وهو ما قام به بطلا قصَّتنا، بل وأظهرا عجزًا عن الالتزام بالقواعد الواقعيَّة، مما ضاعف من حالة الارتباك والغموض، وهو ما يعدُّ خرقًا صريحًا لمبدأ التَّعاون لـ(جرايس)، "فتقديم الكثير من المعلومات أو القليل منها أو إثبات ما نعرف أو نعتقد أنّه كاذب، أو أننا لا نضمن صدقه، أو قول شيء لا صلة له بموضوع المحادثة، أو التحدث بكيفية مبهمة أو فيها لبس أو إطناب، أو انعدام للنظام، هي ظواهر تمثِّل جميعها ضروبًا من السّلوك غير المتعاون."[lii]، وهو ما أكّدَته الدِراسة "فهذه القواعد والمباديء هي القواعد الضَّابطة لكلّ عمليَّة تخاطبيَّة، ولذا وجب على طرفيْ التَّخاطب الالتزام بمبدأ التَّعاون، وإذا أخلَّ أحدهما بمبدأ من هذه المباديء، وجب على الآخر أن يصرف كلام محاوره عن ظاهرِه إلى معنى خَفِيّ يقتضيه المقام، ويحصل على طرق الاستدلال من المعنى الظّاهر والقرائن.[liii]

كما أنّ الكذب لا يمكن حصره فقط في مجرَّد المحاولات لإخفاءِ الحقائِق، بل هو أداة لُغويَّة تداوليَّة تُسهِمُ في تشكيلِ المعاني وتوجيهِها داخل سياقات تواصليَّة متعدِّدة، وعليه يكون الكذِب وسيلة فعَّالة للتَّفاوض على المعاني، ويعكس قدرة اللُّغة على التَّأثير في العَلاقات الإنسانيَّة وصياغة الواقع الاجتماعيّ بما يتلاءَم مع مصالح الأطراف المتحدِّثَة.

تصنيف الكذِب في القِصَّة

ولأنّ الكذب "يصنف في إطار اللَّاحقيقة، وهو مفهوم زلق متقلب، من الصَّعب الإمساك به وتصنيفه وتخليص الحقيقة منه، فنقيض الحقيقة له ألف وجه ووجه، ولا يمكن الإلمام به كليًا، وبالحقل الذي يشغَله،

كما يعبر عن ذلك (مونتيني)، لأنه يشتغل في المناطق المظلمة، بين الذات والموضوع، الحقيقة والواقع، الحقيقة والوهم، النية الحسنة والنية السيئة. فيصبح الكذب أحيانا، أكثر الحقائق صدقًا ويقينًا، ويصدقه حتى أولئك الذين يعتقدون في قرارات أنفسهم، بأنهم أكثر الناس تحصنًا ضده "[liv] يمكننا تصنيفه في قصَّة (مظلوم) وفقًا للتَّصوّر التّالي:

<u>الكذب الدِّفاعِي</u>: يظهر هذا النَّوع من الكذب في قصة (مظلوم) كأداة أساسيَّة للشخصيات للهروب من الواقع أو للتبرير في مواجهة المواقف الصعبة التي تضعهم في دائرة المسؤولية، فيُستخدم كمحاولة لتخفيف وقع الجريمة أو التهرُّب من الاعتراف بالأفعال التي تتناقض مع المعايير الأخلاقيَّة أو القانونيَّة، كما في الأمثلة التَّالية:

كذب الرجل المُتَّهَم: بعد ابتلاعه قطعة الحشيش، حيث مارس كذبًا دفاعيًا واضحًا ومتوقَّعًا عند مواجهته بالاتِّهام، محاولًا نفى التّهمة عنه نفيًا كامِلًا، يقول: "أنا يا بيه؟! بلعت إيه؟! والله معرف حتى شكله"[lv] فبدأ العبارة باستفهام استنكاريّ لنسبة هذا الفِعل إليه، ثمَّ يُتبعه بسؤال آخر "بلعت إيه؟!" ليخلقَ فجوة بينه وبين الجريمة الفعليَّة، محاولًا الهروب من الاعتراف بالخطأ، أمَّا تكراره لكلمة مظلوم فهي محاولة لإعادة صياغة الموقف الاجتماعيّ، وتحويل دوره من الجاني إلى الضحيَّة، مستخدمًا الكذب أداة للتَّنصل من المسؤولية الشخصيَّة وإعادة صياغة صورته أمام الآخرين.

كذب الطبيب (عبد المجيد): الذي بدأ الكاتب بوصف حكاياه ومزحه وهزله وشخصيَّته الفكاهيَّة، وهو بوصفه هذا لم يترفَّع عن استخدام الكذب الدفاعي، لكن بنوعٍ من التحايل الاجتماعي، اتَّضح ذلك عندما سأل الرجل (المتَّهم) عن الحشيش الذي ابتلعه، مُظهِرًا له دعمًا غير مباشر في محاولة جادَّة لتخفيف الضغط بسؤال لا يعدُّ استفسارًا عن الحقيقة، بقدر ما يحمله من دعم غير مباشر للرجل، ومساعدة له على تقديم إجابة تهيّيء له سبيل الهروب من الجريمة، بتخييره بين -ابتلاع قطعة الحشيش أم التّخلّص منها برميها- وهو ما يمثل كذبًا دفاعيًا غير مباشر من خلال التوجيه اللغويّ، ويؤكِّد هذا الدَّعم قوله: **"لا والله جدع يا واد! يحميك!"** ليطلق بها (عبد المجيد) صيحات تشجيعيَّة غير صادقة تطمئن الرَّجل بصورة غير لُغويَّة، فهو لم يصرّح بهذا الجملة بل أسرَّها في نفسه فبدت ملامحه راضية مزهوَّة بصنيع الرَّجل الذي يتقاسم معه سلوكه غير المنضبط وإدمانه الحشيش في كذب دفاعيّ يخفف به وطأة الموقف عن نفسه وعن الرَّجل.

كذب (الضابط): رُغم كونه جزءًا من السلطة، إلا أنّ حواره لم يخل من الكذب الدفاعي الذي يسعى من خلاله إلى تحويل الموقف إلى موقف لا يرتبط مباشرة بما يجري، فعند حديثه عن موقفِه الشخصي مع أحد الأصدقاء في مصر الجديدة، يَبعُد (الضابط) بحديثه عن الجريمة المرتكَبة، ويحول دَفَّة النِّقاش إلى موضوعات بعيدة عن السِّياق القانوني، في محاولة جادَّة للتخفيف من حدة الموقف، وإقصاء نفسه طواعيةً عن الجدية المترتبة على التحقيق في أمر الحشيش، بخلق جوٍّ غير رسمي، دفاعًا عن نفسه -التي تعلم على وجه اليقين- أنَّه تمامًا كالمتَّهم غير أنَّ سلطته حالت دون اتّهامه، فيخلق حوارًا يخفف به وطأة الشّعور بالمسؤولية القانونية بل والأخلاقية بحديثه عن سهراته المتكررة مع أصدقائه في (روف) منزل أحدهم بمصر الجديدة.

<u>من التّحليل السَّابق نجد أنَّ الكذب الدفاعي أداة لُغوية عوَّل عليها أبطال القِصَّة</u> للهرب من الحقائق القاسية، سواء على لسان الرجل (المتَّهم) أو عبد المجيد (الطَّبيب) أو الضابط، حيث استخدموا الكذب ليس لتضليل الآخرين بقدر ما هو وسيلة لتخفيف وطأة الواقع عليهم، محاولين الهرب من المساءلة أو تفادي تشويه صورتهم أمام المجتمع.

<u>الكذب التبريريّ</u>: أحد أشكال الكذب، يُستخدم لتحسين صورة الشخص، ولإقناع الآخرين بمصداقيته وعاديَّة أفعاله -وإن كانت غير صحيحة-، ويتجسَّد هذا النوع من الكذِب في قصَّة (مظلوم) في مواقف عدة، حيثُ

يسعى الأفراد إلى تبريرِ أفعالِهم غير الأخلاقيَّة في أكثر من موضع في حوار القِصَّة- موضع الدِّراسة-، ويمكننا التّدليل على ذلك من خلال تحليل الأمثلة ذاتها، فهي تحمل كثيرًا من الدلالات التي يمكن توجيهُها تداوليًا وفق القِراءة التَّالية:

نلحظ تكرار المتَّهم - الذي تم القبض عليه لابتلاعه قطعة الحشيش – لجملة: **"مظلوم يا ناس، والله مظلوم"**[lvi] التي وَسم بها الكاتب قِصَّته، كرَّرها كوسيلة للتبرير؛ ليقنع الآخرين بأنه غير مذنب، بل إنَّه ضحية لتلك التّهمة الملفَّقة، وهو بذلك لا يحاول تبرئة نفسه فحسب، بل يسعى إلى تحسين صورتِه كما ذكرنا.

ورُغم أن الطبيب (عبد المجيد) في موقع سلطة بحكم مهنتِه؛ إلا أنَّه يستخدم أسلوبًا من الكذب التبريريّ؛ يسعى من خلاله (عبد المجيد) إلى تحسين وضع الرجل عن طريق تجميل الصورة الاجتماعيَّة له، حيث يُظهره كشخص(جدع) –على حدِّ قوله- في مواجهة الموقف المخزي، هذه الكلمات ليست مجرَّد تشجيع، بل هي بمثابة **تبرير** لسلوك الرجل في نظر الآخرين، وتحويل الموقف من تهمة إلى أمرٍ مقبول- على الأقلّ في نظره – فهو يقف مزهوًا بدهائِه، معجبًا بتحايله ومحاولة هروبه من التّهمة، وهو تناقض واضح بين مسؤوليته وسلوكه يبدو ككذبٍ نفسيّ لا يتبدَّى للمحيطين، بل يحيا به على خلاف حقيقته.

ثمَّة شخصيَّة أخرى من أبطال القِصَّة تستخدم هذا النَّوع من الكذب، بدا ذلك عند حديث الضابط مع الطبيب (عبد المجيد) عن (القعدة في مصر الجديدة) مع أصدقائه، حيثُ ابتعد عن أيَّة تفاصيل تتعلق بمَهَمته القانونية أو الاجتماعية، محوِّلًا دفَّة الحوار إلى حكايا شخصيَّة بعيدة عن الحشيش أو التحقيق، فنجده يسوِّغ لنفسه تقديم صورة بعينها تُظهر جانبه الإنسانيّ الخفيّ كإنسان عاديّ يقضي أوقاتًا طبيعية مع أصدقائه بعيدًا عن المسؤوليات التي يواجهها في العمل، مما يعد تبريرًا لجلسته هذه التي ربَّما تتجاوز حدّ السَّهر ومسامرة الحضور، ويتعدَّى ذلك إلى ما هو أبعد عن مخيِّلتنا، وهو (الحشيش).

فقد استُخدم الكذب التَّبريريّ في قصَّة (مظلوم) لتحسين صورة اجتماعيّة، حيثُ حوَّله أبطال القِصَّة إلى أداةٍ لتجميل الصورة وتحقيق القَبول الاجتماعي.

<u>الكذب الأيديولوجي</u>: ويُستخدم لتبرير قناعات أو أيديولوجيات سياسيَّة أو فكريَّة بعينها، وذلك بتحريف الحقائق وتزييفها دفاعًاعن وجهة نظر معينة أو لتحقيق أهداف أيديولوجية، ويمكن ملاحظة هذا النوع من الكذب في بعض المواقف المتضمَّنة بالقصَّة (موضوع الدِّراسة)، حين تسعى بعض الشخصيات إلى تبرير أفعالهم مستخدمين خطابًا أيديولوجيًا يطوّعونه لصالحهم.

واتَّضح ذلك عند حديث الضابط مع عبد المجيد، الذي يكشف عن نوعٍ من التبرير الأيديولوجي لأفعاله من خلال التطرق إلى صورة المجتمع الذي ينتمي إليه، رُغم أن السياق مَليء بالحديث عن القضايا الشخصية اليومية، إلا أنَّ الضابط يحاول في جزء من حديثه أن يُظهر نفسه مجرّد مواطن يعاني من ظروف معقدة، فالضابط لا يسعى فقط للتَّعبير عن إحباطه الشخصي، بل يُظهر كذبًا أيديولوجيًا لتبرير معاناته، بالإشارة إلى واقعه القاسي- الذي نراه في سياق القِصَّة لا يتعدّى كونه لم يستمتع بجلسته مع أصدقائه- ويُحاول (الضابط) أن يُظهر أنَّ ما يحدث له هو جزء من معاناة جماعيَّة، في محاولة لتبرير المواقف السياسية أو الاجتماعية القاسية التي قد تُفرض عليه في عمله.

أمَّا (عبد المجيد)، فلا يقتصر في حواراته على تقديم حلول طبية، بل يدمج بين الأيديولوجيا الشخصيَّة والنقد الاجتماعي الذي يتبنَّاه؛ ففي حديثه مع المتَّهم، يستخدم خطابًا غير مباشر يحمل في طياته نوعًا من **الكذب** الأيديولوجي حينما يُظهر المتَّهم كضحية لنظام اجتماعي أو سياسي غير عادل، فبإمعان النَّظر في جملة المتَّهم الشَّهيرة: **"مظلوم يا ناس!"** يصِرّ على تَكرارها، وكأنه يدافع عن فكرة أيديولوجية تتعلَّق بالعدالة والظلم الاجتماعي الحقيقيّ الذي نقرأه بين سطور قِصَّة يوسف إدريس، كأنه يقصِد أنَّه (مظلوم) في معركة

أكبر، مظلوم في معركة الظلم الاجتماعي، والهيمنة السياسية، فقضية الظلم هنا لا تقتصرُ على الاتهام الجائر فحسب، بل تتعداه إلى صراع غير متكافئ في مواجهة أعداء مُتَشَابهين في الواقع؛ فالمتهم الذي يُدان بتهمة تعاطي الحشيش - وإن كان فعلاً مرتكبًا لها - يظل ضحيَّة لأزمة أكبر؛ أزمة المنظومة الاجتماعيَّة والنظام القانوني الذي يُخضعه للتَّهميش دون النَّظر إلى المتورّطين من المحيطين به - الضابط والطبيب - الذيْن يدينان بينما هما غارقان في ذات المعصية، وعليه، يُعَبر المتهم عن ظلمٍ مضاعف، لاستشعاره بأنّه ضحيّة لنظام يختار من يدينه ويغض الطرف عن آخرين.

إذن أسهم الكذب الأيديولوجي في القِصَّة – موضع الدّراسة- في خلق صورة زائفة للأحداث والوقائع التي تتماشى مع القناعات الفكرية والأيديولوجية للشخصيات، مما يعكس تداخلًا للواقع مع الأيديولوجيا في تبرير أفعالهم وأقوالهم.

قِراءات تداوليَّة[lvii]

تُعد النَّظرية التَّداولية[lviii] أحد أهم الاتّجاهات اللُّغويَّة التي ترتكز على دراسة المعنى الذي يقصده المتكلِّم، حيث يتضمَّن ميدان دراستها تفسير ما يعنيه النّاس في سياق معيَّن وكيفيّة تأثير السياق فيما يقال، فهي دراسة المعنى السِّياقي، أي أنّها دراسة المعنى غير المرئيّ Invisible meaning أو لنقل هي دراسة كيفيَّة إيصال أكثر ممّا يقال[lix]، أي دراسة اللُّغة بوصفها ظاهرة خطابيَّة وتواصليَّة واجتماعيَّة في الوقت ذاته[lx]، فهي إذن تدرس كيفية استخدام اللغة، وعلاقتها بمستعمليها ضمن سياقات اجتماعية وثقافيَّة، وتهتم بكيفية تفسير الأفعال الكلاميَّة استنادًا إلى المقام، والقصديَّة، والاحتمالات الخاصة بالمشاركين في الحوار، في هذا المبحث من الدّراسة، سنقف وقفات تداوليَّة في قصة مظلوم التي تشتمل على العديد من الحوارات المثيرة التي تكشف النّقاب عن استراتيجيات لُغويَّة معقَّدة، بما في ذلك الكذب، التَّلاعب، والتفاعل الاجتماعي.

المُرسِل والمستقبِل: وهما طرفا التَّواصل، ومن خلال رصد كليهما نفهم استخدام المتكلّم للُّغة بغية تحقيق هدف معين في التَّفاعل، والتأكد من إيصال الرسالة بشكل صحيح للمتلقي، وفي القصة، نجد أن (عبد المجيد) يقوم بإرسال رسائل متناقضة للآخرين، ورُغم أنّها تتعلق بالحالة الطبية المزعومة للمتَّهم، إلا أنّه يوجه من خلالها رسالة مزدوجة للجميع، ففي سؤاله: **"أنت يا واد بلعتها واللا رميتها؟!"** يقدم أفعالًا كلامية غير مباشرة، يستخدمها ليعطي للمتّهم فرصة للتَّهرب من الإجابة، وتوجيه الحديث في سياقٍ آخر يقصد به تجميل موقفه، فالسؤال هنا هو إجراء لُغوي تعليميّ يحمل تداوليًا نوعًا من التَّوجيه غير المباشر، في الوقت ذاته، نجد أنَّ المتَّهم في رده على (عبد المجيد) يقدم أفعالًا كلامية دفاعية، فيقول بإصرار: **"بلعت إيه؟ والله معرف حتى شكله والنبي مظلوم!"** هذا الرد يتضمن فعلًا دفاعيًا، حيث يصرّ المتّهم على إنكار ما نُسِبَ إليه، ويقدِّم تفسيرًا يناقِض الواقع، مدعيًا البراءة.

الإحالة: وهي علاقة تربط بين الأسماء والمسمَّيات بوساطة أدوات تحيل داخل النّص ويعتمد فهمنا لها على إسنادها لشيء آخر، وهو ما يسميه يول بالإحالة الدّاخلية[lxi]، أو كما ذكر (دي بوجراند) أنَّ الإحالة بمفهومها الدَّلاليّ تعني العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف والأحداث في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات[lxii]، والإحالة في التَّداولية: علاقة دلاليَّة تشيرُ إلى استخدام ضمائر أو تعبيرات مرجعيَّة تحِيل إلى شيءٍ معين في السياق، وفي هذه القصة، نجد أن (الضَّابط) يشير إلى الغرزة، والحشيش بألفاظ بعينها قد تدلُّ على شيء معين في السِّياق الاجتماعيّ الذي يشترك فيه الجميع، دون الحاجة للتَّوضيح الكامل من منطلق التَّعاون المشترك والذي يفترض (جرايس) بموجبه أن المتخاطبين المشاركين في محادثة واحدة يحترمون هذا المبدأ، فالمشاركون يتوقَّعون أن يُسهمَ كلّ واحد منهم في المحادثة بكيفيَّة عقلانيَّة ومتعاونة لتيسير تأويل أقواله[lxiii]، يقول الكاتب: على لسان الضابط " **هاجموا غرزة ففرّ كل من فيها "...** فنجد أنَّ

الضابط يشير إلى الحدث بطريقة غير مفصَّلة، ممَّا يتيح للأشخاص المشاركين في الحوار إدراك السِّياق وفَهمه من خلال الإحالة إلى ما هو معروف مسبقًا بينهم، هذه الإحالة تخلق تواصلًا لاضمنيًا، بحيثُ لا يحتاج الحديث إلى إسهابٍ أو تفصِيل، ويمكن للقارئ أو المتلقي أن يملأ الفجوات بناءً على التَّعاون الذي يحقِّق غاية مسلّماته الأربعة التي تتمثَّل في "فعالية عالية للتَّبادل الكلامي، دون أن يلغي ذلك إمكانية الحديث عن غايات أخرى، كأن يسعى المتكلِّم للتّأثير على الآخرين أو الاستئثار باهتمامهم."[lxiv]

خرق التَّوقعات، والخروج عن المألوف: حيثُ تعتمد التَّوقُّعات في التَّداولية على فكرة أنَّ كل تفاعل لُغَويّ يرتبطُ بتوقّعاتٍ معينة حول ما سيقوله المتكلِّم، ويتصرَّف المتلقّي وَفقًا لها بناءً على السِّياق الاجتماعيّ والمعلومات المفترضة مسبقًا، وفي قِصَّة (مظلوم)، نجد خرقًا لهذه التَّوقعات في أكثر من موضع:

في بداية القصة، يُتوقع أن يكون (عبد المجيد) الطبيب طبيبًا تقليديًا، لكننا نكتشف أنّه على خلاف الصورة الذهنيَّة المتوقَّعة، فهو طويل، نحيف، شاحب، وهذا يخرق الصورة النَّمطية للطبيب في المجتمع كما عبَّر عنها يوسف إدريس.

وفي الحوار بين (عبد المجيد) و(الضابط)، يَتَوقَّع المتلقي أن يكونَ الحديثُ في السِّياق الطبي أو الإجراءات القانونيَّة، لكن الحوار يستحيل فجأة إلى حوارٍ عاطفي وساخر، حيثُ يتحدَّث الضابط عن معاناتِه الشخصيَّة واستدعائه حال استراحته وجلسته مع أصدقائه، وهو ما حدا إلى خرق التَّوقعات، بل وخالف السلوك المتوقع في مواقف مشابهة، فهذا التغيير المفاجئ يعكسُ الابتعادَ عن الإطار الرسميّ، ويعزّز تداخل الأنواع المختلفة من الأكاذيب وتوظيفها في التَّواصل.

التّلميح بديلًا عن التَّصريح: أقصِد بالتّلميح هنا استخدامَ اللُّغةِ المُبهَمة أو غير المباشرة لإيصال رسالة معينة، وفي سياق قصَّة (مظلوم)، نجد أنَّ (عبد المجيد) يختار التَّلميح لخلقِ مساحةٍ غامضةٍ يمكنُ من خلالِها تفسير الموقف بطرق متعددة، وهذا يظهر في سؤاله للمتَّهم عمَّا إذا كان قد تخلَّص من الحشيش بابتلاعه أم رميه، وقد وقفنا عنده كثيرًا في هذه الورقة البحثيَّة لأهميَّته في سياق القِصَّة، ولما يفتحه أمام القاريء من نوافذ لتأويلاتٍ عِدَّة، وإجابات متنوّعة، مما يسمح للمتَّهم بتقديم إجابة تدرء عن نفسه الاتّهامات بحِرفيَّة وذكاء، دون أن يكون هناك ضغط مباشر.

المعايير الاجتماعية والتّوقعات الثَّقافية: حيث يتأثَّر التَّفاعل في القِصَّة بشدَّةٍ ووضوحٍ بالقيمِ الاجتماعيَّة والمهنيَّة المتوقَّعَة، حيثُ يُتَوَقَّع من (الطبيب) أن يكون جادًّا حازمًا ومؤهلًا، بينما يَظْهَر(عبد المجيد) بشكلٍ غير تقليديّ في السياق الثَّقافي لهذه القصة، حيث يكون (الضابط) و(الطبيب) متورطيْن في مواقف غير متوقعة، وبسلوكيَّات لا يمكن توقُّعها أو قبولها، ويتجاوز الحوار التَّوقعات المعتادة في التَّعامل مع مثل هذه الحالات؛ لذلك ينكسر التوقع الثَّقافي وتُستخدم اللُّغة وسيلة للتَّلاعب بالمواقف واختبار حدود القيم المجتمعيَّة.

الاستجابة والموافقة: حيثُ يُظهر الطَّبيب في نهاية القِصَّة موافقةً على الفكرة أو الكذبة التي يروج لها (الضابط)، حينما يطلق الأخير صرخاته معبِّرًا عن ضجرِه واستيائِه، قائلًا: "بذمّتك مش حاجة تعكنن؟!"، يتم تفعيل الموافقة على الموقف الذي يعكس في ظاهره تضامنًا واضحًا، يقول الكاتب: "ووافقه الطّبيب أن هذا شئٌ يعكنن"، بينما يحمل في طيَّاته أبعادًا مضمرة نلحظها في قوله: "وافقه وهو ينظر إلى عينيْ الضابط الجميلتيْن، وقد غرِقت حبَّتاهما الزَّرقاوان في بحيْرة، ليست حمراء تمامًا، ولا هي بيضاء، إنّما لها ورديَّة البين بين" ، ممَّا يروّج للموافقة الضِّمنية على تفاصيلِ الكذب، وبما يوضّح الاشتراك في وصف العينيْن بين (الضَّابط) و(الطبيب) – الذي وصف الكاتب عينيه بالكلمات نفسها - وهو ما يعكسُ تواطؤًا ضمنيًا في (تعاطي الحشيش)، حيث يصف الكاتب حالة الضياع والضبابيَّة في العيون كإشارةٍ للانغماس في الوهم والزيف، وبينما يُتهم الرجل، يظلّ (الضابط) و(الطبيب) بعيديْن عن الاتهام بفضلِ السُّلطة والمكانةِ الاجتماعيّة، مما يكشف الكذب السِّياقيّ، ويفضح التَّناقض في النِّظام الاجتماعيّ .

ومن خلال القراءة التَّداوليَّة نجد أنَّ الشَّخصيات تتعامل مع الكذب في سياقات مختلفة دفاعيًا، وتبريريًا وأيديولوجيًا، كما تضمَّن الحوار في القِصَّةِ خرقًا للتوقعات، وتلاعبًا بالأسئلة والإجابات، وغيابًا للشفافية، مما يعكس الواقع المزدوج الذي يعيش فيه الأفراد، كل ذلك تمّ رصده بوساطة التلميح والإحالة، والتلاعب بالكلمات والنصوص والصِّياغة، حيث بنى الكاتب بهذه الآليات عالمًا لغويًا مليئًا بالكذب والغموض والتَّناقض.

ويبقى القول بأنَّ الكذب من الوجهة اللِّسانيّة يمثل أمرًا إشكاليًّا، فالفرقاء شِيع مختلفون، بين من يرى أن الكذبَ من مقتضيات اللُّغة، فاللُّغة ليست بريئة، بل في كمونِها ينطوي التحوير والمخاتلة والمراوغة، فكل عبارة في ثنيّاتها صدق وكذب، وثمة من يقارب المسألة بالنظر إلى اللغة على أنها أداة محايدة لمستعملها يوجهها كيف يشاء، فهي كالوعاء تأخذ شكل المزيج المسكوب فيه، فلا تحمل اللُّغة في جوانبها طابَعًا أيديولوجيًّا ولكنها تنقل ما وقر في فكر مستعملها ومؤولها[lxv].

في ختام هذه الدراسة، يتبيَّن أن الكذب في النصّ الأدبي لا يقتصر على كونه مجرد تزييف للحقائق، بل يتجلى بأبعاده التواصليَّة، والاجتماعية والنفسيَّة والثَّقافية، ومن خلال التحليل التداولي لقصة (مظلوم) ليوسف إدريس، تبيَّن أنَّه يُستخدم بطرق متعدّدة تخدم احتياجات الشخصيات في السياق السردي، سواء كان ذلك للهروب من المواجهة، أو لتخفيف التوترات، أو لإعادة تشكيل الواقع الاجتماعي، كما أن المعالجة التداولية للكذب تكشف عن دوره في خرق المبادئ اللغوية الأساسية وإعادة توجيه التفاعل اللغوي، مما يؤكد ضرورة فهم اللغة بوصفها أداة معقّدة تتجاوز وظيفتها الاتّصالية المباشرة إلى أبعادها المغايرة.

نتائج البحث وتوصياته:

تتضمَّن نتائِج الدِّراسَة فهمًا عميقًا لكيفيَّة توظيف الكَذِب فِي الأدَب كأدَاة تواصليَّة مُهمَّة فَاعِلة فِي فَهْم الشَّخصيَّات وتحليل النّصوص الأدبيَّة، بما فِي ذلك تحلِيل السِّيَاقَات التَّداوليَّة التِي تُسْهِم فِي الكشْفِ عن المَعَاني الخَفِيَّة المُضْمَرة وَراء الصِّيغ والكلِمَات والتَّراكيب والأفْعَال الكَلامِيَّة، ويمكنُ إجمال النّتائج في النِّقاط التَّالية:

١- الكذب ليس مجرد ظاهرة لُغوية أخلاقيَّة، بل أداة تَوَاصُل لُغويَّة تُستخدم للتَّلاعب بالحقائق ضمن سياقات اجتماعية وثقافية ونفسيَّة معقَّدة.

٢- تُمثل قصة (مظلوم) نموذجًا غنيًا لاستخدام الكذب في الحوار بين الشخصيات، حيث يظهر الكذب كوسيلة لتخفيف التوترات الاجتماعية، وتحريف الحقيقة وتزييفها لأغراض الدفاع عن النفس، أو تغيير واقع معين هربًا من المواجهة.

٣- معالجة إشارات الكذب على المستوى الدلالي بعيدًا عن المستوى التداولي تؤدي إلى غموض وتعدد الاحتمالات، مما يعيق فهم المقاصد الحقيقية للمخاطبين، فمن خلال تحليل الكذب بوصفِه فعلًا لغويًا ذا أبعاد تداولية، يظهر أن الإشارات الدلاليَّة المتعلقة بالكذب تصبح أكثر وضوحًا وفاعلية عند ربطها بالسياق الاجتماعي والنفسي، مما يعزز قدرة المتلقي على تفسير النوايا الحقيقية وراء الأفعال اللُّغوية.

٤- إحدى النتائج الرئيسة هي كيفية خرق المبادئ اللُّغوية الأساسية، خاصة مبدأ التعاون ل(جرايس)، في سياق الكذب، حيث تستخدم الشخصيات في القصة أسئلة وتفاعلات تشتمل على استفسارات غير مباشرة وموضوعات غامضة تتيح لهم استخدام الكذب كآلية لغويَّة ناجحة للتَّواصل.

٥- تبيَّن استخدام نوعيْن من الكذب بشكل أساسي: الكذب الدفاعي والكذب الاجتماعي، يظهر الأوَّل عندما يحاول مظلوم تبرئة نفسه أو الهروب من مواجهة المسؤولية عبر إنكار التهم الموجهة إليه؛

أما الثَّاني فيظهر في الحوارات بين الشخصيات المحوريَّة (عبد المجيد) و(الضابط) حيث يستخدمونه لخلق توازن اجتماعي ولتخفيف التوترات في مواقف صعبة.

٦- يظهر الكذب في القصة بوصفه أداة فعَّالة في تشكيل واقع اجتماعي بديل يتلاءم مع احتياجات الشخصيات، هذه الأدوات اللُّغوية تهدف إلى إخفاء الحقائق، مما يعكس قدرة الكذب على إعادة تشكيل الصورة الاجتماعية وتوجيه الحوار بعيدًا عن الحقيقة المزعجة، وبالتالي، يصبح الكذب في هذه الحالة أداة تفاعلية لخلق بيئة تواصلية مريحة تلائم الشخصيات المتورطة.

٧- يتم تفعيل الكذب من خلال آليات لُغوية دقيقة تشمل التلاعب بالألفاظ، الأسئلة الغامضة، تقديم الافتراضات غير المباشرة، والخرق المتكرر لمبدأ التعاون اللُّغوي، هذه الأساليب اللُّغويَّة توضح كيف يمكن استخدام الكذب كوسيلة للتَّفاوض على المعاني، وتعكس الصراع الداخلي للشخصيات في مواجهة الحقائق.

التَّوصيَات:

توصي الورقة البحثيَّة بما يلي:

- الاهتمام بالدراسات التَّداولية للكذب في الأدب العربي، خاصة في النصوص التي تحتوي على حوارات معقدة تعكس التفاعلات الاجتماعية والثَّقافية والنفسية.
- تطوير مناهج تحليلية أكثر دقة لفحص الكذب في النّصوص الأدبية من منظور تداولي، بحيث تشمل هذه المناهج تحليلًا لتأثير البنية اللُّغوية على معاني الكذب واستخداماته في السِّياقات المختلفة.

الحواشي:

[i] اللغة والكذب لهارالد فاينرش، مقال لماجد العلوي https://st.mara.gov.om/p/1081، متاح بتاريخ ٢١ مايو ٢٠٢٠.

[ii] أرخص ليالي، من أولى مجموعات يوسف إدريس القصصية، صدرت في عام ١٩٥٤، ترصد الواقع المصري في زمن يوسف إدريس وماقبله، وتحتفي بحياة القرية والمدينة المصرية، حيث هموم الشخوص وارتباطهم بالأرض والمكان، تتميّز المجموعة بتقديم عدد كبير متنوع من الشخصيات التي تبدو بسيطة في مظهرها وإن كان المضمون الذي يريد يوسف إدريس توصيله أعمق بكثير من بساطة شخصياته، وهذا بلا شك أحد جوانب عبقرية يوسف إدريس، انظر https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B1%D8%AE%D8%B5_%D9%84%D9%8A%D8%A7%D9%84%D9%8A ، متاح بتاريخ فبراير، ٢٠٢٥م.

[iii] ورد هذا البيت في لسان العرب بلا نسبة، انظر لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف– القاهرة، مادة (ك ذ ب)، ص ٣٨٤٠.

[iv] لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، مادة (ك ذ ب)، ص ٣٨٤٠ بتصرُّف.

[v] القاموس المحيط، الفيروزآبادي، راجعه: أنس محمد الشَّامي، وزكريا جابر إبراهيم، دار الحديث – القاهرة، (١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م)، مادة (ك ذ ب)، ص ١٤٠٢.

[vi] مختار الصّحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان – بيروت، ١٩٨٦، مادة (ك ذ ب)، ص ٢٣٦، بتصرُّف .

[vii] الفروق اللُّغويَّة في القرآن الكريم، د. عبد الجبَّار فتحي زيدان، العراق– الموصل، ١٤٤١هـ – ٢٠٢٠م، ص ١٥٨.

[viii] المحاورات الكاملة لأفلاطون، محاورة هيبياس الصّغرى (الفضيلة والمعرفة)، المجلد الرابع، ترجمة شوقي داود تمراز، لبان – بيروت، ص ٢٤٧: ٢٥٠.

[ix] مدخل إلى الميتافيزيقا مع ترجمة للكتب الخمسة الأولى من ميتافيزيقا أرسطو، أ.د/ إمام عبد الفتَّاح إمام، دار نهضة مصر – القاهرة، ط١، الفصل التَّاسع والعشرون، ص ٣٩١.

[x] مدخل إلى الميتافيزيقا، ص ٣٩٠.

[xi] كتاب التّعريفات، الجرجاني، مكتبة لبنان- بيروت، ط ١٩٨٥، ص ١٩٢، وانظر التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف، الشيخ عبد الرؤوف بن المناوي، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط١ (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، عالم الكتب – القاهرة، ص ٢٨٠.

[xii] أدب الدنيا والدّين، لأبي الحسَن الماوردي، دار المنهاج لبنان – بيروت، ط١ (١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م)، ص ٤١٨.

[xiii] الكليَّات (معجم في المصطلحات والفروق اللُّغويَّة)، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمّد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢ (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، ص ٧٤٢.

[xiv] الأخلاق الإسلاميَّة وأسسها، عبد الرّحمن الميداني، دار القلم – دمشق، ط ٥ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ١/ ٥٣٠.

[xv] الأخلاق، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، ط٢٠١٢م، ص ٩٢.

[xvi] خلق المسلم، محمد الغزالي، دار الريَّان للتراث، القاهرة، ط١ ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م، ص ٣٤.

[xvii] خلق المسلم، محمد الغزالي، ص ٣٥.

[xviii] خلق المسلم، محمَّد الغزالي، ص ٣٦.

[xix] اللغة والكذب لهارالد فاينرش، مقال لماجد العلوي https://st.mara.gov.om/p/1081، متاح بتاريخ ٢١ مايو ٢٠٢٠.

[xx] التّداوليَّة اليوم، علم جديد في التَّواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة د. سيف الدين دغفوس وآخرين، المنظّمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، ط١ ٢٠٠٣م، ص ٣٩، ٤٠

[xxi] ويعطي خرق أحد هذه المباديء استلزامًا عند المتكلم بصدد ما يقصده، انظر مدخل إلى الدلالة الحديثة، عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنّشر، الدار البيضاء – المغرب، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٣١.

[xxii] القاموس الموسوعي للتّداولية، جاك موشلر، آن ريبول، المركز الوطني للترجمة- تونس، ٢٠١٠م، ص ٢١٤.

[xxiii] القاموس الموسوعي للتَّداولية، مرجع سابق، ص ٢١٤.

[xxiv] مقال اللُّغة والكذب: هل اللغة بريئة، د.عيسى برهومة، متاح بتاريخ يوليو ٢٠٢٠م، على الرّابط التّالي:
https://molhem.com/@EssaBarhouma/%D8%A7%D9%84%D9%84-%D8%BA%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B0%D8%A8-%D9%87%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%A6%D8%A9-1103

[xxv] قراءة تأملية في قصّة مظلوم، انظر أرخص ليالي، يوسف إدريس، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧، قصة مظلوم، ص ١٤١ وما بعدها ، بتصرّف

[xxvi] أرخص ليالي، ص ١٤٢.

[xxvii] وهو الوصف النَّمطيّ للطبيب كما أورده يوسف إدريس في قصّته ليبيّن من خلاله اختلاف شخصيَّة عبد المجيد عن غيره، انظر أرخص ليالي، ص ١٤١.

[xxviii] أرخص ليالي، ص ١٤٢.

[xxix] أرخص ليالي، ص ١٤٢.

[xxx] أرخص ليالي، ص ١٤٣.

[xxxi] أرخص ليالي، ص ١٤٣.

[xxxii] أرخص ليالي، ص ١٤١.

[xxxiii] الحسين المعطاوي، مقال بعنوان: جاك دريدا ومقاربة جديدة لمفهوم الكذب، متاح على الرابط التالي يناير ٢٠٢٥م:
https://aawsat.com/home/article/660636/%D8%AC%D8%A7%D9%83-%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%AF%D8%A7-%D9%88%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B0%D8%A8-%D9%84%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D9%84%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-منشور بتاريخ: يونيو ٢٠١٦م

[xxxiv] والمقصود به كلّ المقتضيات العقديّة والمعرفيَّة واللُّغويَّة – القريب منها والبعيد- المشتركة بين المتكلّم والمخاطب، والمقوّمة لاستعمال المتكلّم لقولٍ من الأقوال بوجه من الوجوه، انظر، تجديد المنهج في تقويم التّراث، طه عبد الرحمن، المركز الثَّقافي العربي، ط ٢، ص ٢٤٤ وما بعدها، وانظر في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٠، ص ٢٨.

[xxxv] اللغة والكذب لهارالد فاينرش، مقال لماجد العلوي https://st.mara.gov.om/p/1081، متاح بتاريخ ٢١ مايو ٢٠٢٠.

[xxxvi] صاغ جرايس مبدأ التَّعاون على النَّحو التَّالي: "ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتّجاه المرسوم للحوار الذي اشتركتَ فيه"، انظر في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٨٦م، ص ١٠٣.

[xxxvii] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص ١٠٣.

[xxxviii] أرخص ليالي، ص ١٤٢.

[xxxix] النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسَّان، عالم الكتب، ط ٢، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، ص ٤٩٥، وانظر آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر ، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، ص ٣٤.

[xl] أرخص ليالي، ص ١٤٢.

[xli] أرخص ليالي، ص ١٤٢.

[xlii] أرخص ليالي، ص ١٤٢.

[xliii] "لا والله جدع يا واد، يحميك!"، انظر: أرخص ليالي، ص ١٤٢.

[xliv] النصّ والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص ٤٩٦.

[xlv] أرخص ليالي، ص ١٤٢.

[xlvi] أسلوب السّخرية: نظرياته وإشكاليّاته، د. مشاري عبد العزيز الموسى، رسالة المشرق، الكويت، ص ٦٢، ٦٣.

[xlvii] السّخرية من السلطة في نوادر أبي العيناء اليمامي(٢٨٢هـ): دراسة تداولية، د. مريم بنت عبد العزيز بن عبد الله العيد، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، ٢٠٢١م، ص ٨١، وانظر الوسائل اللغوية وبناء خطاب السخرية في القصة القصيرة، د. عزة شبل محمد، مجلة كلية الآداب – جامعة الفيوم، مجلد ١٣، العدد ١، يناير ٢٠٢١م، ص ٦.

[xlviii] أرخص ليالي، ص ١٤٢.

[xlix] ويعبّر عنه جرايس: حاول أن تجعل مساهمتك من النوع الذي يوسم بالصحّة، فلا تقل ما تعتقده كذبًا، ولا تقل شيئًا يعوزه عندك دليل كاف، انظر التداوليّة، جورج يول، ترجمة قُصيّ العتَّابي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط١، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م، ص ٦٨.

[l] بحوث فلسفيَّة، لودفيج فتجيشتين، ترجمة وتعليق عزمي إسلام، مراجعة عبد الغفّار مكّاوي، فِقرة ٢٤١، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٠، ص ١٦٠.

[li] المشروعيَّة الفلسفيَّة للكذب والخداع السِّياسي، حمدي عبد الحميد الشَّريف، حولية كلية الآداب، جامعة بني سويف، مجلد ٧، ٢٠١٨م، ص ١٨٢.

[lii] القاموس الموسوعي للتَّداولية، مرجع سابق، ص ٢١٥.

[liii] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص ١٠٤، وانظر الاستلزام الحواري عند "بول جرايس": دراسة تحليليَّة على رواية (Derini Yuzecegim سأسلخ جلده) للكاتب التركي Kemal Tahir ، محمد عزت إسماعيل هيبة، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، العدد (٣٠) يناير ٢٠٢٤م، ص ٦٤٠.

[liv] جاك دريدا ومقاربة جديدة لمفهوم الكذب، مقال للحسين المعطاوي، متاح على الرابط التالي يناير ٢٠٢٥م:
https://aawsat.com/home/article/660636/%D8%AC%D8%A7%D9%83-%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%AF%D8%A7-%D9%88%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B0%D8%A8-%D9%84%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D9%81%D9%88%D9%85- منشوربتاريخ: يونيو ٢٠١٦م

[lv] أرخص ليالي، ص ١٤٢.

[lvi] السَّابق نفسه.

[lvii] وتهتمّ بدراس علاقة العلامات بمستعمليها ومفسِّريها، انظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، ص ٩.

[lviii] التداولية، جورج يول، مرجع سابق، ص ١٩، وانظر التّداوليَّة عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٥ وما بعدها.

[lix] التَّداولية، جورج يول، مرجع سابق، ص ١٩.

[lx] التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، ط ١، ٢٠٠٧، ص ١٨ وما بعدها .

[lxi] تحليل الخطاب، براون ويول، ترجمة محمد الزليطي ومنير التّريكي، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، ص ٢٣٠.

[lxii] النصّ والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص ٣٢٠.

[lxiii] التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة د. سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، مراجعة د. لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة – بيروت – لبنان، طأ ١، ٢٠٠٣، ص ٥٥.

[lxiv] التّداوليَّة أصولها واتّجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، ط١، ١٤٣٧هـ– ٢٠١٦م، ص ١٠٢، ١٠٣.

[lxv] اللُّغة والكذب: هل اللغة بريئة، د.عيسى برهومة، مرجع سابق.

قائمة المراجع:

المراجع العربية

أوَّلًا: الكتب:

أحمد، أمين .(2012) .*الأخلاق* .القاهرة: مؤسسة هنداوي.

أفلاطون. (د.ت) .*المحاورات الكاملة لأفلاطون: محاورة هيبياس الصغرى (الفضيلة والمعرفة)* .ترجمة: شوقي داود تمراز. بيروت: لبان.

إدريس، يوسف .(2017) .*أرخص ليالي* .القاهرة: مؤسسة هنداوي.

إمام، إمام عبد الفتاح. (د.ت) .*مدخل إلى الميتافيزيقا مع ترجمة للكتب الخمسة الأولى من ميتافيزيقا أرسطو* (ط. ١). القاهرة: دار نهضة مصر.

ابن منظور. (د.ت) .*لسان العرب* .تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون. القاهرة: دار المعارف.

الجرجاني .(1985) .*كتاب التعريفات* .بيروت: مكتبة لبنان.

الرازي، محمد بن أبي بكر .(1986) .*مختار الصحاح* .بيروت: مكتبة لبنان.

السحراوي، مسعود .(2005) .*التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي* .بيروت: دار الطليعة.

الشافعي، محمود أحمد نحلة .(2002) .*آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر* .الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

الغرناطي، عبد الرؤوف بن المناوي .(1990) .*التوقيف على مهمات التعاريف* .تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان. القاهرة: عالم الكتب.

الغزالي، محمد .(1987) .*خلق المسلم* .القاهرة: دار الريان للتراث.

الفيروزآبادي .(2008) .*القاموس المحيط* .راجعه: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر إبراهيم. القاهرة: دار الحديث.

الكفوي، أبو البقاء .(1998) .*الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)* .تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الماوردي، أبو الحسن .(2013) .*أدب الدنيا والدين* .بيروت: دار المنهاج.

الميداني، عبد الرحمن .(1999) .*الأخلاق الإسلامية وأسسها* (ط. ٥). دمشق: دار القلم.

بلانشيه، فيليب .(2007) .*التداولية من أوستين إلى غوفمان* .ترجمة: صابر الحباشة. اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

براون، وجيول. (د.ت) .*تحليل الخطاب* .ترجمة: محمد الزليطي ومنير التريكي. المملكة العربية السعودية: جامعة الملك سعود.

بوغراند، روبرت دي .(2007) .*النص والخطاب والإجراء* (ط. ٢). ترجمة: تمام حسان. القاهرة: عالم الكتب.

ربول، آن، وموشلر، جاك .(2003) .*التداولية اليوم: علم جديد في التواصل* (ط. ١). ترجمة: سيف الدين دغفوس وآخرين. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

زايدان، عبد الجبار فتحي .(2020) .*الفروق اللغوية في القرآن الكريم* .الموصل: العراق.

طه عبد الرحمن .(1986/2000) *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام* (ط. ١ و ٢). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
طه عبد الرحمن. (د.ت) *تجديد المنهج في تقويم التراث* (ط. ٢). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
فتجنشتين، لودفيج .(1990) *بحوث فلسفية* .ترجمة وتعليق: عزمي إسلام. مراجعة: عبد الغفار مكاوي. الكويت: مطبوعات جامعة الكويت.
كلسن، جورج يول .(2010) *التداولية* (ط. ١). ترجمة: قصي العتابي. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
موشلر، جاك، وربول، آن .(2010) *القاموس الموسوعي للتداولية* .تونس: المركز الوطني للترجمة.

ثانيًا: الرسائل العلميَّة:

الشريف، حمدي عبد الحميد .(2018) *المشروعيَّة الفلسفيَّة للكذب والخداع السِّياسي* .حولية كلية الآداب، جامعة بني سويف، ٧.
العيد، مريم بنت عبد العزيز بن عبد الله .(2021) *السّخرية من السلطة في نوادر أبي العيناء اليمامي (٢٨٢ هـ): دراسة تداولية* .مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية.
شبل، عزة محمد .(2021) *الوسائل اللُّغوية وبناء خطاب السخرية في القصة القصيرة* .مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، ١٣(١)، يناير.
عزت إسماعيل هيبة، محمد .(2024) *الاستلزام الحواري عند بول جرايس: دراسة تحليليَّة على رواية سأسلخ جلده (للكاتب التركي كمال طاهر Derini Yuzecegim)* .مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ٣٠، يناير.
الموسى، مشاري عبد العزيز. (د.ت) *أسلوب السُّخرية: نظرياته وإشكاليَّاته* .رسالة المشرق، الكويت.

ثالثًا: مواقع الانترنت:

العلوي، ماجد. (٢٠٢٠، ٢١ مايو) *اللغة والكذب لهارالد فاينرش* .وزارة الإعلام – سلطنة عمان . https://st.mara.gov.om/p/1081
المعطاوي، الحسين. (٢٠١٦، يونيو) *جاك دريدا ومقاربة جديدة لمفهوم الكذب* .الشرق الأوسط. تم الاسترجاع في يناير ٢٠٢٥ من : https://aawsat.com/home/article/660636/%D8%AC%D8%A7%D9%83-%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%AF%D8%A7-%D9%88%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D9%84%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B0%D8%A8
برهومة، عيسى. (٢٠٢٠، يوليو) *اللُّغة والكذب: هل اللغة بريئة؟* مُلهم . https://molhem.com/@EssaBarhouma/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B0%D8%A8-%D9%87%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%A6%D8%A9-1103

أرخص ليالي. (٢٠٢٥، فبراير). ويكيبيديا
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B1%D8%AE%D8%B5_%D9%84%D9%8A%D8%A7%D9%84%D9%8A

Translation of Arabic References:

Books

Amin, Aḥmad. (2012). *Al-Akhlāq* [Ethics]. Cairo: Hindawi Foundation.

Al-Fayrūzābādī. (2008). *Al-Qāmūs al-muḥīṭ* [The Surrounding Dictionary] (A. M. al-Shāmī & Z. J. Ibrāhīm, Eds.). Cairo: Dār al-Ḥadīth. (Original work published ca. 1410 AH).

Al-Ghazālī, Muḥammad. (1987). *Khalq al-Muslim* [The Character of the Muslim]. Cairo: Dār al-Rayyān li-l-Turāth.

Al-Jurjānī. (1985). *Kitāb al-Taʿrīfāt* [The Book of Definitions]. Beirut: Maktabat Lubnān.

Al-Kafawī, Abū al-Baqāʾ. (1998). *Al-Kulliyyāt: Muʿjam fī al-muṣṭalaḥāt wa al-furūq al-lughawiyya* [The Universals: A Lexicon of Linguistic Terms and Distinctions] (ʿA. Darwīsh & M. al-Maṣrī, Eds.). Beirut: Muʾassasat al-Risāla.

Al-Māwardī, Abū al-Ḥasan. (2013). *Adab al-dunyā wa al-dīn* [The Ethics of Religion and Worldly Life] (1st ed.). Beirut: Dār al-Minhāj.

Al-Maydanī, ʿAbd al-Raḥmān. (1999). *Al-Akhlāq al-Islāmiyya wa ususuha* [Islamic Ethics and Their Foundations] (5th ed.). Damascus: Dār al-Qalam.

Al-Manāwī, ʿAbd al-Raʾūf ibn. (1990). *Al-Tawqīf ʿalā muhimmāt al-taʿārīf* [Clarification of Important Definitions] (ʿA. Ḥ. Ḥamdān, Ed.). Cairo: ʿĀlam al-Kutub.

Al-Rāzī, Muḥammad ibn Abī Bakr. (1986). *Mukhtār al-Ṣiḥāḥ* [The Select Lexicon]. Beirut: Maktabat Lubnān.

Al-Zaydān, ʿAbd al-Jabbār Fatḥī. (2020). *Al-Furūq al-lughawiyya fī al-Qurʾān al-karīm* [Linguistic Differences in the Holy Qur'an]. Mosul, Iraq.

Al-Zulayyṭī, Muḥammad, & al-Trīkī, Munīr (Trans.). (n.d.). *Taḥlīl al-khiṭāb* [Discourse Analysis] (by Brown & Yule). Riyadh: King Saud University.

Aristotle. (n.d.). *Madkhal ilā al-mītāfīzīqā maʿ tarjamah lil-kutub al-khams al-ūlā min Mītāfīzīqā Arisṭū* [Introduction to Metaphysics with a Translation of the First Five Books of Aristotle's Metaphysics] (I. ʿA. Imam, Trans.). Cairo: Dār Nahḍat Miṣr.

Blanchet, Philippe. (2007). *Al-Tadāwuliyya min Austin ilā Goffman* [Pragmatics from Austin to Goffman] (Ṣābir al-Ḥabbāsha, Trans.). Latakia: Dār al-Ḥiwār li-l-Nashr wa al-Tawzīʿ.

De Beaugrande, Robert. (2007). *Al-Naṣṣ wa al-khiṭāb wa al-ijrāʾ* [Text, Discourse, and Action] (Tammām Ḥassān, Trans., 2nd ed.). Cairo: ʿĀlam al-Kutub.

Idrīs, Yūsuf. (2017). *Arkhaṣ layālī* [Cheaper Nights]. Cairo: Hindawi Foundation.

Imlāʾ, Maḥmūd Aḥmad Naḥla. (2002). *Āfāq jadīda fī al-baḥth al-lughawī al-muʿāṣir* [New Horizons in Contemporary Linguistic Research]. Alexandria: Dār al-Maʿrifa al-Jāmiʿiyya.

Ibn Manẓūr. (n.d.). *Lisān al-ʿArab* [The Tongue of the Arabs] (ʿAbd Allāh ʿAlī al-Kabīr et al., Eds.). Cairo: Dār al-Maʿārif.

Mouchler, Jacques, & Reboul, Anne. (2003). *Al-Tadāwuliyya al-yawm: ʿIlm jadīd fī al-tawāṣul* [Pragmatics Today: A New Science of Communication] (S. al-Daghfūs et al., Trans.). Beirut: The Arab Organization for Translation.

Mouchler, Jacques, & Reboul, Anne. (2010). *Al-Qāmūs al-mawsūʿī li-l-tadāwuliyya* [The Encyclopedic Dictionary of Pragmatics]. Tunis: National Center for Translation.

Naḥla, Maḥmūd Aḥmad. (2002). *Āfāq jadīda fī al-baḥth al-lughawī al-muʿāṣir* [New Horizons in Contemporary Linguistic Research]. Alexandria: Dār al-Maʿrifa al-Jāmiʿiyya.

Plato. (n.d.). *Al-Muḥāwarāt al-kāmila li-Aflāṭūn: Ḥiwār Ḥibyās al-ṣughrā (al-faḍīla wa al-maʿrifa)* [The Complete Dialogues of Plato: The Lesser Hippias (Virtue and Knowledge)] (Sh. D. Tamrāz, Trans.). Beirut: Lubnān.

Reboul, Anne, & Mouchler, Jacques. (2010). *Al-Qāmūs al-mawsūʿī li-l-tadāwuliyya* [The Encyclopedic Dictionary of Pragmatics]. Tunis: National Center for Translation.

Ṣaḥrāwī, Masʿūd. (2005). *Al-Tadāwuliyya ʿinda al-ʿulamāʾ al-ʿArab: Dirāsa tadāwuliyya li-ẓāhirat al-afʿāl al-kalāmiyya fī al-turāth al-lisānī al-ʿArabī* [Pragmatics among Arab Scholars: A Pragmatic Study of Speech Acts in the Arabic Linguistic Heritage]. Beirut: Dār al-Ṭalīʿa.

Ṭahā ʿAbd al-Raḥmān. (1986/2000). *Fī uṣūl al-ḥiwār wa tajdīd ʿilm al-kalām* [On the Principles of Dialogue and the Renewal of the Science of Kalam] (1st & 2nd eds.). Casablanca: Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī.

Ṭahā ʿAbd al-Raḥmān. (n.d.). *Tajdīd al-manhaj fī taqwīm al-turāth* [Renewing the Method in the Evaluation of Heritage] (2nd ed.). Casablanca: Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī.

Wittgenstein, Ludwig. (1990). *Buḥūth falsafiyya* [Philosophical Investigations] (ʿAzmī Islām, Trans. & Comm.; ʿAbd al-Ghaffār Makkāwī, Rev.). Kuwait: Kuwait University Press.

Yule, George. (2010). *Al-Tadāwuliyya* [Pragmatics] (Quṣayy al-ʿAttābī, Trans.). Beirut: Dār al-ʿArabiyya lil-ʿUlūm, Nashirūn.